

العقيدة العسكرية عند ابن تومرت

مؤسس دولة الموحدين

الاستاذ المساعد

خالد بن إبراهيم بن عبدالله الدبيان

مدير قسم الثقافة الإسلامية بكلية الملك فيصل الجوية

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي
له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ورضي الله
عن الصحب الكرام من المهاجرين والأنصار، وعن التابعين وتابعيهم
إلى يوم الدين.

تتفق جميع الدراسات البحثية^(١)، والمهتمة بالجانب المعنوي لدى
العسكريين، بأهمية تأصيل العقائد العسكرية، من كتاب الله تعالى وسنة
نبيه ﷺ وسيرة أصحابه القادة الفاتحين رضي الله عنهم.

وقد قال تعالى مبيناً قيمة الحجة اللسانية والحجة السنانية في
نصرة الدين {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

(١) انظر: العسكرية الإسلامية-الرائد بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال يوسف
الخلفان. والعقيدة العسكرية-اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ. والعسكرية
العربية الإسلامية-اللواء الركن محمود شيب خطاب.

لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ^(١) قَالَ ابْن
تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ دَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ:

(أخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام
الناس بالقسط. وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق
فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هادياً ونصيراً. ولهذا كان
قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد كما قال بعض السلف: صنّفان
إذا صلحوا صلح الناس: الأمراء والعلماء)^(٢).

وهذا التأصيل العقدي يستلزم دراسة وبحث نماذج من القادة أو
الدول التي كان لها في التاريخ الإسلامي أثر وتأثير، ومن هذه الدول
التي تستحق الدراسة في جانب العقيدة العسكرية، دولة الموحدين، والتي
استمرت قرناً ونصف قرن من الزمان حيث بويع ابن تومرت سنة
٥١٥هـ، وتوفى آخر ملوك الموحدين أبو العلا الواثق سنة ٦٦٧هـ،
وبلغت من سعة الرقعة ومن الازدهار والقوة والسطوة مبلغاً عظيماً
جعلها واحدة من أعظم الدول في التاريخ الإسلامي وقد امتدت الدولة
الموحدية من المحيط الاطلسي غرباً إلى طرابلس شرقاً، ومن الأندلس
شمالاً إلى قلب الصحراء جنوباً، وتولى حكمها أربعة عشر أميراً،
وشهدت العلوم والفنون والعمارة في عهدها ازدهاراً مشهوداً، وتكفلت
بالجهاد في الأندلس، وردت غزوات النصارى المتتالية، وأوقعت بهم

(١) سورة الحديد-آية رقم (٢٥).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - ١٥٧/١٨

في الواقعة الشهيرة المعروفة بوقعة الأراك سنة ٥٩١هـ - وقد بلغ
أسطولها من القوة والهيبة ما جعل صلاح الدين الأيوبي يستنجد بها في
حربه مع الصليبيين.

أسباب اختيار البحث:

إن اختيار العقيدة العسكرية عند محمد بن تومرت مؤسس دولة
الموحدين مجالاً للبحث، كان للأسباب التالية:

١. التعريف بمفهوم العقيدة العسكرية الإسلامية، وبين أثرها على
الجندي المسلم، مع الاستدلال على ذلك بما ورد.

٢. دراسة المبادئ العقائدية العسكرية التي قامت عليه دولة
الموحدين، وتقويمها من خلال الكتاب والسنة وأقوال السلف
الصالح.

٣. بيان دور العقيدة العسكرية في دعوة ابن تومرت لتربية جنود
دولة الموحدين في المغرب العربي.

٤. إضافة مباحث في العلوم العسكرية، تتناول الجوانب العقائدية
في مجال الدراسات العسكرية.

٥. بيان العلاقة بين العقيدة العسكرية، والخطط الاستراتيجية
والعملياتية، في دعوة ابن تومرت.

مجال الدراسة:

يمتد عمر دولة الموحدين من سنة ٥١٥هـ إلى سنة ٦٦٧هـ،
وتعتبر فترة التأسيس والتي تحدد بالمرحلة التاريخية للفترة من ٥١٥-

٥٥٥٨هـ، وهي تعني بداية دعوة ابن تومرت والتي استمرت من تاريخ
٥١٥هـ إلى وفاته والتي كانت بتاريخ ٥٢٤هـ، ثم تولى عبدالمؤمن
من تاريخ ٥٢٤هـ إلى وفاته سنة ٥٥٨هـ، وتلك هي مجال دراسة
النهج العسكري عند ابن تومرت، وسبب اختيار هذه المرحلة التاريخية
في مجال البحث أنها مرحلة تأسيس وبناء وفتوح، وقد قال الذهبي عن
ابن تومرت: (ولم يملك شيئاً من المدائن إنما مهد الأمور وقرر القواعد
فبغته الموت وكانت الفتوحات والممالك لعبد المؤمن)^(١).

(١) العبر في خبر من عبر-الذهبي-٤٢٣/٢-الكتب العلمية-بيروت لبنان-ط١-
١١٤٠هـ

خطة البحث:

بعد التوكل الله وسؤاله العون والهداية، ثم الإطلاع على أبرز كتب تاريخ دولة الموحدين المعاصرة لها أو ما كتب عنها وعن مؤسسيها، والإطلاع على الكتب التي كتبت عن ابن تومرت، قسمت البحث إلى ما يلي:

المبحث الأول: الأسس العقائدية في الجانب العلمي في دعوة ابن تومرت. ويتضمن:

المطلب الأول: تعريف ومفهوم العقيدة العسكرية.

المطلب الثاني: أهمية تربية الجند على العقيدة الصحيحة.

المبحث الثاني: الأسس العقائدية في الجانب العسكري في دعوة ابن تومرت. ويتضمن:

المطلب الأول: القضايا العقائدية العسكرية في نهج ابن تومرت.

المطلب الثاني: التنظيمات العسكرية في نهج ابن تومرت.

أهم نتائج البحث.

فهرس مراجع البحث.

فهرس الموضوعات.

الأسس العقائدية في الجانب العلمي في دعوة ابن تومرت.

المطلب الأول

تعريف ومفهوم العقيدة العسكرية

بين علماء السلف رحمهم الله تعالى مفهوم ودلالة كلمة العقيدة، مستنبطين ذلك من الكتاب والسنة، وقد قال الشاطبي: (لا بد في كل مسألة يراد تحصيل علمها على أكمل الوجوه، أن يلتفت إلى أصلها في القرآن، فإن وجدت منصوصاً على عينها أو ذكر نوعها أو جنسها فذاك، وإلا فمراتب النظر متعددة)^(١).

ومن هذا المبدأ كان معنى كلمة (عقيدة) في لغة العرب تعني (الجزم) إذ أن العقد: العهد والجمع عقود وهي أوكد العهود^(٢). ويستدل لمعنى الجزم بقوله تعالى (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ)^(٣). فالاعتقاد هو عقد القلب على الشيء وإثباته في نفسه^(٤).

والمصطلحات الشرعية، منها ما هو توقيفي يسمى باسمه الشرعي، لأن دلالته لا تفهم إلا بهذا المصطلح، ومنها ما يسوغ فيه

(١) الموافقات-الشاطبي- ٣/٣٧٥.

(٢) لسان العرب-ابن منظور-مادة عقد.

(٣) سورة المائدة-آية رقم (٨٩).

(٤) كتاب التعريفات-الجرجاني-١٥٨-(العقائد).

الاجتهاد، فيقول ابن تيمية عن مسميات المصطلحات الشرعية، أنها تنقسم إلى:

ما أخبر به الشارع أو عرف بخبره.

وإلى ما أمر به الشارع. والذي أخبر به ينقسم: إلى ما دل على علمه بالعقل؛ وإلى ما ليس كذلك. والذي أمر به: إما أن يكون مستفادا بالعقل؛ أو مستفادا بالشرع، وإما أن يكون مقصودا للشارع. أو لازما للمقصود.

وضرب ابن تيمية مثالا على ذلك، فيقول: صنف الشيخ أبو بكر الأجري "كتاب الشريعة" وصنف الشيخ أبو عبد الله ابن بطّة "كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية" وغير ذلك. وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السنة باسم الشريعة: العقائد التي يعتقدونها أهل السنة من الإيمان.. فسموا أصول اعتقادهم شريعتهم وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم. وهذه العقائد التي يسميها هؤلاء الشريعة هي التي يسمي غيرهم عامتها "العقليات" و "علم الكلام" أو يسميها الجميع "أصول الدين" و يسميها بعضهم "الفقه الأكبر" وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب "كتاب السنة" كالسنة لعبد الله بن أحمد والخلال...

واسم "السنة" و "الشريعة" قد يكون في العقائد والأقوال؛ وقد يكون في المقاصد والأفعال. فالأولى في طريقة العلم والكلام والثانية في طريقة الحال والسمع وقد تكون في طريقة العبادات الظاهرة والسياسات السلطانية. فالمتكلمة جعلوا بإزاء الشرعيات

العقليات أو الكلاميات والمتصوفة جعلوا بإزاءها الذوقيات والحقائق
والمفاسفة جعلوا بإزاء الشريعة الفلسفة والملوك جعلوا بإزاء الشريعة
السياسة.

وأما الفقهاء والعامّة فيخرجون عما هو عندهم الشريعة إلى
بعض هذه الأمور أو يجعلون بإزاءها العادة أو المذهب أو الرأي.
والتحقيق: أن الشريعة التي بعث الله بها محمدًا ﷺ جامعة
لمصالح الدنيا والآخرة وهذه الأثماء ما خالف الشريعة منها فهو باطل
وما وافقها منها فهو حق؛ لكن قد يغير أيضا لفظ الشريعة عند أكثر
الناس (٠٠)

ثم يؤكد ابن تيمية على وجوب التقيد بالأوامر الإلهية مهما
اختلفت الأسماء، فيقول: (وبما ذكرته في مسمى الشريعة والحكم
الشريعي والعلم الشرعي، يتبين أنه ليس للإنسان أن يخرج عن الشريعة
في شيء من أموره بل كل ما يصلح له فهو في الشرع من أصوله
وفروعه وأحواله وأعماله وسياسته ومعاملته وغير ذلك)^(١).

والمراد من عرض ما ذكر لبيان أن كلمة (عقيدة عسكرية)
مصطلح من المصطلحات الاجتهادية، كما نجد (العقيدة السفارينية
والعقيدة الواسطية والعقيدة الطحاوية) وغيرها من كتب السلف التي
تحمل أسماء مؤلفيها أو مكان كتابتها.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية - ٣٠٩ - ٣٠٩ - ٣٠٩

تعريف العقيدة العسكرية:

إن مدلول كلمة العقيدة العسكرية عند العسكريين، أنها (تعبر عن نظرة الدولة الرسمية للحرب كظاهرة تاريخية، اجتماعية، تمثل إحدى الوسائل الأساسية لتحقيق سياسة الدولة وأهدافها القومية، وهي تحدد الأسس العامة والمبادئ الرئيسية اللازمة لبناء الإستراتيجية العسكرية وتكوينها)^(١).

وفي الوثيقة الجديدة في الاتحاد الفيدرالي الروسي، عرفت العقيدة العسكرية بأنها: هي المبدأ العسكري لمجموعة من الرؤى الرسمية، تحدد التوجيهات الاقتصادية العسكرية و الاستراتيجية العسكرية و السياسية العسكرية لتزويد أمن الاتحاد الفيدرالي^(٢).

وقد بين ابن خلدون مفهوم العقيدة العسكرية، وذلك في إشارته أن من أسباب انتصار الجيوش قد تكون (في أمور ظاهرة وهي الجيوش، ووفرها وكمال الأسلحة واستجابتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف. ومن أمور خفية وهي إما من خدع البشر وحيلهم في الإرجاف والتشايخ التي يقع بها التخيل، وفي التقدم إلى الأماكن

(١) العسكرية الإسلامية-الرائد بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال يوسف الخلفان- ٨٢-١ ط ١ الزرقاء مكتبة المنار ١٤٠١هـ. وانظر: قاموس (dod) للمصطلحات العسكرية. ومعجم المصطلحات العسكرية- (عقيدة). وموقع عاصفة الصحراء -الملحق ب-خالد بن سلطان. وموسوعة السياسة-١٣٥/٤ doctrine (عقيدة). و قاموس أطلس الموسوعي (إنجليزي-عربي) doctrine (٢) مركز الدراسات السياسية في روسيا، ١٥ مايو، ٢٠٠٠.

المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المصحف لذلك... ومن أمور
سماوية لا قدرة للبشر على إجتسابها تلقى في القلوب، فيستولي الرهب
عليهم من أجلها فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة^(١).

إن مفهوم العقيدة العسكرية عند ابن تومرت والتي ستناولها
بالدراسة، تعني مجموعة المبادئ التي استخدمها واستخدمتها جيوش
الموحدين، لتوجيه نشاطاتها في سبيل دعم أهدافها ومبادئها. لأن العقيدة
العسكرية، لا يمكن أن تكون عقيدة (جزم وتأكيد) حتى تكون مبادئ
وأفكار واتجاهات، التي يعتقدتها أفراد الجيش فيما يتعلق بالقضية التي
يحاربون من أجلها^(٢).

ولهذا كانت مبادئ ابن تومرت عند الموحدين بمثل هذا
المفهوم، (فكانوا لا يذكرون غيره، ولا يمتلكون أمراً إلا أمره،
يستغيثون به في شدائدهم، ويتركون بذكره عند موأدثهم، ويقولون هذا
الإمام المعلوم والمهدي المعصوم على منابرهم، فدخل الناس في طاعته
أنفوا جاً، واتخذوا سنته شريعة ومنهاجاً)^(٣).

(١) مقدمة بن خلدون - ٣٣٧/١.

(٢) انظر: الفكر العسكري ونظريات الحرب - بسام العسلي - العدد الأول ١٩٩٧م -
ص ١٢. وتطور العقائد والاستراتيجيات العسكرية - اللواء الطيار الركن -
عبد الرحمن بن حسن الشهري - مكتبة العبيكان - الرياض - الطبعة الأولى -
١٤٢٤هـ

(٣) الألبيس المطرب - ابن أبي زرع - ٢٢٧ - المطبعة الملكية - الرباط - الطبعة الثانية
١٤٢٠هـ

المسكوبه، فكذلك تتضمن العقيدة العسكرية الخطاب العلماني، والتي تشمل المفاهيم المتعلقة بالعلم والفن العسكريين وتطبيقهما في كافة المستويات (الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية).

ويستل على تضمن العقيدة العسكرية للنظم الاستراتيجية والعملياتية، ما أخرج الله في كتاب بقره إلى الله يجب أن يعطون في سبيله صفًا كأنهم نبات مرتضون^(١) ويستخرج من هذه الآية (استجاب قيام المجاهدين في القتال صفوة كصفوف الصلاة، وله يستحب من الفرج والخل في الصفوف، وإتمام الصف الأول والأول وتسمية الصفوف عدم تقدم بعض على بعض فيها. ثم إن القتال على هذه البيئة اليوم من أصول العساكر المحمدية للتطبيق لا زالت مضمرة موزعة بالتأنيكات الربانية، وما هو معلوم أن الرسائل حكم المقاصد فما يتوصل به إلى تحصيل الاتصاف بلك ما لا ينبغي أن يتكامل في تحصيله^(٢).

ومن التنظيم العسكري ما أخرج الله في كتابه عن طريقه العرب، فقال لا أئنا الذين أنشأنا حزبكم فغيروا ذلك إلى غيرنا جميعاً^(٣) فهذا خطاب للمؤمنين المخاضين من أمة محمد، ولزم لهم

(١) سورة الصف رقم الآية (٤).

(٢) روح المعاني - الأوسى - ٨٤/٢٨ - دار إحياء التراث العربى - طبع - ١٤٠٥ هـ

(٣) سورة النساء - رقم الآية (٧١).

وحد من الجانب العسكري بدخل اصلا في مفهوم العقيدة العسكرية، فكذلك تتضمن العقيدة العسكرية الجانب المادي، والتي تشمل المفاهيم المتعلقة بالعلم والفن العسكريين وتطبيقهما في كافة المستويات (الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية).

ويستل على تضمن العقيدة العسكرية التنظيم الاستراتيجي والعملياتية، ما أخبر الله في كتاب بقوله {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ} (١١) ويستخرج من هذه الآية: (استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفًا كصفوف الصلاة وأنه يستحب سدّ الفرج والخلل في الصفوف، وإتمام الصف الأول فالأول، وتسوية الصفوف عدم تقدم بعض على بعض فيها. ثم إن القتال على هذه الهيئة اليوم من أصول العساكر المحمدية النظامية لا زالت منصورة مؤيدة بالتأييدات الربانية، وما هو معلوم أن للرسائل حكم المقاصد فما يتوصل به إلى تحصيل الاتصاف بذلك مما لا ينبغي أن يتكاسل في تحصيله) (١٢).

ومن التنظيم العسكري ما أخبر الله في كتابه عن طريقة الحرب، فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا حِزْبَكُمْ فَاغْرُؤْا ثُبَاتٍ أَوْ الْغُرُؤْا جَمِيعًا (١٣) فهذا خطاب للمؤمنين المخلصين من أمة محمد ﷺ، وأمر لهم

(١) سورة الصف - رقم الآية (٤).

(٢) روح المعاني - الألويسي - ٨٤/٢٨ - دار إحياء التراث - بيروت - لبنان - ط: ٤ -

١٤٠٥ هـ

(٣) سورة النساء - رقم الآية (٧١).

وكما أن الجانب المعنوي يدخل أصلاً في مفهوم العقيدة العسكرية، فلكذلك تتضمن العقيدة العسكرية الجانب المادي، والتي تشمل المفاهيم المتعلقة بالعلم والفن العسكري وتطبيقهما في كافة المستويات (الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية).

ويستل على تضمن العقيدة العسكرية النظم الاستراتيجية والعملياتية، ما أخبر الله في كتاب بقوله {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُيُوتٌ مَرصُوعَةٌ} (١) ويستخرج من هذه الآية: استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفًا كصفوف الصلاة وأنه يستحب سدّ الفرج والخلل في الصفوف، وإتمام الصف الأول فالأول، وتسوية الصفوف عدم تقدم بعض على بعض فيها. ثم إن القتال على هذه الهيئة اليوم من أصول العساكر المحمدية النظامية لا زالت منصوره مؤيدة بالتأييدات الربانية، وما هو معلوم أن للرسائل حكم المقاصد فما يتوصل به إلى تحصيل الاتصاف بذلك ما لا ينبغي أن يتكاسل في تحصيله (٢).

ومن التنظيم العسكري ما أخبر الله في كتابه عن طريقة الحرب، فقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِزْبَكُمْ فَاغْرُؤْا ثُبَاتٍ أَوْ الْغِرْوَا جَمِيعًا} (٣) فهذا خطاب للمؤمنين المخلصين من أمة محمد ﷺ، وأمر لهم

(١) سورة الصف - رقم الآية (٤).

(٢) روح المعاني - الألووسي - ٨٤/٢٨ - دار إحياء التراث - بيروت - لبنان - ط: ٤ -

١٤٠٥ هـ

(٣) سورة النساء - رقم الآية (٧١).

بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشريعة... وأمرهم ألا
يقفحوا على عدوهم على جهالة حتى يتحسبوا إلى ما عندهم، ويعلموا
كيف يرؤون عليهم، فذلك أثبت لهم فعلمهم مباشرة الحروب^(١).

ومن التنظيم العسكري، وارتباطه بالجانب العقدي، الوصايا
العظيمة التي كان يوصي بها الخليفة أبو بكر الصديق للقادة العسكريين،
فمن ذلك وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما بعثه إلى الشام، قال له: (يا
يزيد إنكم ستقدمون بلاداً تؤتون فيها بأصناف من الطعام فسموا الله
على أولها واحمدوه على آخرها، وإنكم ستجدون أقواماً قد حبسوا
أنفسهم في هذه الصوامع فتركوهم وما حبسوا له أنفسهم، وستجدون
أقواماً قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد يعني الشمامسة فاضربوا
تلك الأعناق، ولا تقتلوا كبيراً هزماً ولا امرأة ولا وليداً ولا تخربوا
عمراناً ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع ولا تحرقن
نخلاً ولا تغرقنه ولا تغر ولا تمثل ولا تجبن ولا تغلل)^(٢).

من خلال ما كتبه المتخصصون في الدراسات العسكرية، يمكن
حصر تعريف العقيدة العسكرية، وشموليتها بما يلي:

هي: الدليل الأساسي لتنظيم وتدريب القوات على مختلف
المستويات.

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٢٧٣/٥ - دار الكتب المصرية - ط: ٢ -
١٣٧٢ هـ.

(٢) السنن الكبرى - البيهقي - ٩٠/٩ - المعارف العشمانية - حيدر آباد - الهند - ط: ١ -
١٣٥٦ هـ

هي: الدليل الرئيس لإعداد وبناء وتطوير القوات وتجهيزها
وإستخدامها في الحاضر والمستقبل.

هي: المنطق الأساسي لأية عملية عسكرية تقوم بها القوات
مهما كان نوعها أو حجمها.

هي: القاعدة الأساسية لتوحيد جميع مفاهيم العسكريين تجاه
إستخدام القوات العسكرية للدولة.

هي: السياسة العسكرية المرسومة التي تعبر عن وجهات النظر
الرسمية لهذه الدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع
المسلح وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها (١).

صفات العقيدة العسكرية:

وبعد حصر التعريفات للعقيدة العسكرية عند المختصين، نذكر
ما جعلوا لها من صفات، من أبرزها:

(١) الإلزام، فهي التعبير الرسمي عن الفكر والمعرفة العسكرية التي
تعمل بموجبها القوات في زمن معين لإدارة الصراع المسلح
لحماية المصالح، وتحدد العقيدة العسكرية الأسس اللازمة

(١) انظر: العقيدة العسكرية- اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ- ٢٣- دار
الاعتصام- القاهرة- ١٩٧٦م. وتطور العقائد العسكرية- اللواء الطيار الركن
عبد الرحمن الشهري- ٨٠. والاستراتيجية السياسية والعسكرية- العماد
مصطفى طلاس- ١/٩٣٤- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق-
١- ١٩٩١.

لقدرات المعدات والتنظيم والقيادة والتكتيكات والتدريب والإسناد اللازمة لإنجاح العمليات العسكرية وإدامتها^(١).

٢) تحدد العقيدة العسكرية على أعلى مستوى في الدولة، أي بمعرفه القيادة السياسية والعسكرية العليا، وذلك لتحقيق الغايات والأهداف المراد تحقيقها.

٣) تصدر العقيدة العسكرية بعد نتائج مركب لأبحاث علمية ودراسات تاريخية تشمل كافة الأنشطة الحيوية للدولة ككل بغرض خلق وتطوير وجهات النظر الرسمية في الصراع المسلح^(٢).

٤) تتحول عناصر العقيدة العسكرية للدولة إلى قوانين ومبادئ ونظريات تدرس لقادة ورجال الجيش في الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية المختلفة، كما يتم التدريب عليها في وقت السلم سواء في خلال التدريب اليومي أو المناورات السنوية، وأخيراً تطبق هذه القوانين والمبادئ والنظريات عملياً في الحرب إذا نشبت بين دولة وأعدائها^(٣).

٥) العقيدة العسكرية هي المحرك الأساسي للقوات، لذا أصبح تفوق القوات المقاتلة على أرض المعركة، يعتمد على تفوق العقيدة التي يدين بها أفراد القوات، لأنها عامل نفسي يقود الأفراد - فرادى أو مجتمعين - إلى النجاح أو الفشل في أي موقف من

(١) العقيدة العسكرية-٢٣- اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ.

(٢) انظر: الاستراتيجية السياسية والعسكرية -مصطفى طلاس- ٤٩٣/١.

(٣) انظر: العقيدة العسكرية- اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ- ٢٣.

القدرات المعدات والتنظيم والقيادة والتكتيكات والتدريب
والإسناد اللازمة لإنجاح العمليات العسكرية وإدامتها^(١).

٢) تحدد العقيدة العسكرية على أعلى مستوى في الدولة، أي بمعرفة القيادة السياسية والعسكرية العليا، وذلك لتحقيق الغايات والأهداف المراد تحقيقها.

٣) تصدر العقيدة العسكرية بعد نتائج مركب لأبحاث علمية ودراسات تاريخية تشمل كافة الأنشطة الحيوية للدولة ككل بغرض خلق وتطوير وجهات النظر الرسمية في الصراع المسلح^(٢).

٤) تتحول عناصر العقيدة العسكرية للدولة إلى قوانين ومبادئ ونظريات تدرس لقادة ورجال الجيش في الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية المختلفة، كما يتم التدريب عليها في وقت السلم سواء في خلال التدريب اليومي أو المناورات السنوية، وأخيراً تطبق هذه القوانين والمبادئ والنظريات عملياً في الحرب إذا نشبت بين دولة وأعدائها^(٣).

٥) العقيدة العسكرية هي المحرك الأساسي للقوات، لذا أصبح تفوق القوات المقاتلة على أرض المعركة، يعتمد على تفوق العقيدة التي يدين بها أفراد القوات، لأنها عامل نفسي يقود الأفراد - فرادى أو مجتمعين - إلى النجاح أو الفشل في أي موقف من

(١) العقيدة العسكرية-٢٣- اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ.

(٢) النظر: الاستراتيجية السياسية والعسكرية -مصطفى طلاس- ٤٩٣/١.

(٣) النظر: العقيدة العسكرية- اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ-٢٣.

المواقف الرئيسية التي تحتاج إلى ثبات وتضحية، هي الوقت الذي تكون فيه بقية عوامل النجاح من خبرة وتقلهم متساوية^(١).

٦) تأسس العقيدة العسكرية لكل دولة وذلك بناء على مبادئ ودين الدولة، ولا يتصور أن تتبنى الدولة مبادئ وقيم، ثم تصدّر عقائد مخالفة لمبادئها وقيمها لقادة الجيش، ويتدرب عليها قواتها^(٢).

(١) انظر: علم النفس العسكرية - عبد اللطيف حسين فرج وعز الدين جميل عطية - ٤٣٠ - دار الشروق - جدة - الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

(٢) العسكرية العربية الإسلامية - اللواء الركن محمود شيت خطاب - ٥٤ - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ.

المطلب الثاني

أهمية تربية الجند على العقيدة الصحيحة

قبل عرض الـوقـفـات العلمـية عن مبادئ ابن تـومـرت في المباحث القادمة إن شاء الله، ونتائج هذه المبادئ على العالم الإسلامي عامة وبلاد المغرب العربي خاصة، نزيد قناعة بضرورة تربية العسكريين تربية عقائدية لا تربية تبعية. وتؤكد هذه القناعة حينما نعلم أن المؤامرة على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً مؤامرة عقائدية.

لقد أكد منظري الغرب العسكريين أن عقائدهم العسكرية في تطوير مستمر من أجل استراتيجيّة الحروب والتنظيم، وقرروا بأن الوظيفة العسكرية عندما تحتاج إلى تحسين، فإن أحد المناظير تشمل مراجعة العقيدة القابلة للتطبيق. وتعطي العقيدة الحالية توجيهاً من أجل تقييم الهجوم والحظر الاستراتيجي^(١).

ومن واقع ما عاشته الأمة الإسلامية المعاصرة مما قد يحدث في بعض دولها من اضطرابات أمنية أو انقلابات عسكرية، يكون العامل الحاسم الوحيد فيه للجيش، وهذا ما يشهد به تاريخ الانقلابات العسكرية في العالم العربي والإسلامي، مثال ذلك ما جاء في البيان رقم واحد الذي أذيع بعد إسقاط عبد الكريم قاسم: (أبناء الشعب الكرام: إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواسلة المسيرة الظاهرة لثورة ١٤ تموز المجيدة).. لقد تسلمت القوى العسكرية ذات

(١) المحلّة المهنيّة للقوات الجوية الأمريكية -بالعربية- ٤٥- صيف ٢٠٠٥.

المطلب الثاني

أهمية تربية الجند على العقيدة الصحيحة

قبل عرض الـوقـات العلمية عن مبادئ ابن تـومـرت في المباحث القادمة إن شاء الله، ونتائج هذه المبادئ على العالم الإسلامي عامه وبلاد المغرب العربي خاصة، نزيد قاعدة بضرورية تربية العسكريين تربية عقائدية لا تربية تبعية. وتؤكد هذه القاعدة حينما نعلم أن المؤامرة على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً مؤامرة عقائدية.

لقد أكد منظري الغرب العسكريين أن عقائدهم العسكرية في تطوير مستمر من أجل استراتيجية الحروب والتنظيم، وقرروا بأن الوظيفة العسكرية عندما تحتاج إلى تحسين، فإن أحد المناظير تشمل مراجعة العقيدة القابلة للتطبيق. وتعطي العقيدة الحالية توجيهاً من أجل تقييم الهجوم والحظر الاستراتيجي^(١).

ومن واقع ما عاشته الأمة الإسلامية المعاصرة مما قد يحدث في بعض دولها من اضطرابات أمنية أو انقلابات عسكرية، يكون العامل الحاسم الوحيد فيه للجيش، وهذا ما يشهد به تاريخ الانقلابات العسكرية في العالم العربي والإسلامي، مثال ذلك ما جاء في البيان رقم واحد الذي أذيع بعد إسقاط عبد الكريم قاسم: (أبناء الشعب الكرام: إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الظاهرة لثورة ١٤ تموز المجيدة).. لقد تسلمت القوى العسكرية ذات

(١) المجلة الشهرية للقوات الجوية الأمريكية -بالعربية- ٤٥ - صيف ٢٠٠٥.

المطلب الثاني

أهمية تربية الجند على العقيدة الصحيحة

قبل عرض الوقفات العلمية عن مبادئ ابن تومرت في المباحث القادمة إن شاء الله، ونتائج هذه المبادئ على العالم الإسلامي عامة وبلاد المغرب العربي خاصة، نزداد فناعة بضرورة تربية العسكريين تربية عقائدية لا تربية تبعية. وتؤكد هذه الفناعة حينما نعلم أن الموازنة على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً مؤامرة عقائدية.

لقد أكد منظري الغرب العسكريين أن عقائدهم العسكرية في تطوير مستمر من أجل استراتيجية الحروب والتنظيم، وقرروا بيان الوظيفة العسكرية عندما نحتاج إلى تحسين، فإن أحد المناظير تشمل مراجعة العقيدة القابلة للتطبيق. وتعطي العقيدة الحالية توجيهاً من أجل تقييم الهجوم والحظر الاستراتيجي^(١).

ومن واقع ما عاشته الأمة الإسلامية المعاصرة مما قد يحدث في بعض دولها من اضطرابات أمنية أو انقلابات عسكرية، يكون العامل الحاسم الوحيد فيه للجيش، وهذا ما يشهد به تاريخ الانقلابات العسكرية في العالم العربي والإسلامي، مثال ذلك ما جاء في البيان رقم واحد الذي أذيع بعد إسقاط عبد الكريم قاسم: (أبناء الشعب الكرام: إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الظافرة لثورة ١٤ تموز المجيدة).. لقد تسلمت القوى العسكرية ذات

(١) المجلة الشهرية للقوات الجوية الأمريكية - بالعربية - ٤٥ - صيف ٢٠٠٥.

المطلب الثاني

أهمية تربية الجند على العقيدة الصحيحة

قبل عرض الوقفات العلمية عن مبادئ ابن تومرت في المباحث القادمة إن شاء الله، ونتائج هذه المبادئ على العالم الإسلامي عامة وبلاد المغرب العربي خاصة، نزداد فناعة بضرورة تربية العسكريين وتربية عقائدية لا تربية تبعية. وتؤكد هذه الفناعة حينما نعلم أن المؤامرة على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً مؤامرة عقائدية.

لقد أكد منظري الغرب العسكريين أن عقائدهم العسكرية في تطوير مستمر من أجل استراتيجية الحروب والتنظيم، وقرروا بأن الوظيفة العسكرية عندما تحتاج إلى تحسين، فإن أحد المناظير تشمل مراجعة العقيدة القابلة للتطبيق. وتعطي العقيدة الحالية توجيهاً من أجل تقييم الهجوم والحظر الاستراتيجي^(١).

ومن واقع ما عاشته الأمة الإسلامية المعاصرة مما قد يحدث في بعض دولها من اضطرابات أمنية أو انقلابات عسكرية، يكون العامل الحاسم الوحيد فيه للجيش، وهذا ما يشهد به تاريخ الانقلابات العسكرية في العالم العربي والإسلامي، مثال ذلك ما جاء في البيان رقم واحد الذي أذيع بعد إسقاط عبد الكريم قاسم: (أبناء الشعب الكرام: إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواسلة المسيرة الظالمة لثورة ١٤ تموز المجيدة).. لقد تسلطت القوى العسكرية ذات

(١) المجلة المهنية للقوات الجوية الأمريكية -بالعربية- ٤٥- صيف ٢٠٠٥.

المطلب الثاني

أهمية تربية الجند على العقيدة الصحيحة

قبل عرض الـوقفات العلمية عن مبادئ ابن تومرت في المباحث القادمة إن شاء الله، ونتائج هذه المبادئ على العالم الإسلامي عامة وبلاد المغرب العربي خاصة، نزيد قناعة بضرورة تربية العسكريين تربية عقائدية لا تربية تبعية. وتؤكد هذه القناعة حينما نعلم أن المؤامرة على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً مؤامرة عقائدية.

لقد أكد منظري الغرب العسكريين أن عقائدهم العسكرية في تطوير مستمر من أجل استراتيجية الحروب والتنظيم، وقرروا بأن الوظيفة العسكرية عندما تحتاج إلى تحسين، فإن أحد المناظير تشمل مراجعة العقيدة القابلة للتطبيق. وتعطي العقيدة الحالية توجيهاً من أجل تقييم الهجوم والحظر الاستراتيجي^(١).

ومن واقع ما عاشته الأمة الإسلامية المعاصرة مما قد يحدث في بعض دولها من اضطرابات أمنية أو انقلابات عسكرية، يكون العامل الحاسم الوحيد فيه للجيش، وهذا ما يشهد به تاريخ الانقلابات العسكرية في العالم العربي والإسلامي، مثال ذلك ما جاء في البيان رقم واحد الذي أذيع بعد إسقاط عبد الكريم قاسم: (أبناء الشعب الكرام: إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الظافرة لثورة ١٤ تموز المجيدة).. لقد تسلطت القوى العسكرية ذات

(١) المجلة المهنية للقوات الجوية الأمريكية-بالمرية-٤٥-صيف ٢٠٠٥.

المطلب الثاني

أهمية تربية الجند على العقيدة الصحيحة

قبل عرض الـوقـات العلمية عن مبادئ ابن تـومـرت في المباحث القادمة إن شاء الله، ونتائج هذه المبادئ على العالم الإسلامي عامه وبلاد المغرب العربي خاصة، نزيداد فـقـاعة بـضـرورة تـربـية العـسـكرين تـربـية عـقائـدية لا تـربـية تـبـعية. وتـتـأكد هـذه الفـقاعة حـينـما نـعلم أن المـوامـرة على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً مؤامرة عقائدية.

لقد أكد منظري الغرب العسكريين أن عقائدهم العسكرية في تطوير مستمر من أجل استراتيجية الحروب والتنظيم، وقرروا بأن الوظيفة العسكرية عندما تحتاج إلى تحسين، فإن أحد المناظير تشمل مراجعة العقيدة القابلة للتطبيق. وتعطي العقيدة الحالية توجيهاً من أجل تقييم الهجوم والحظر الاستراتيجي^(١).

ومن واقع ما عاشته الأمة الإسلامية المعاصرة مما قد يحدث في بعض دولها من اضطرابات أمنية أو انقلابات عسكرية، يكون العامل الحاسم الوحيد فيه للجيش، وهذا ما يشهد به تاريخ الانقلابات العسكرية في العالم العربي والإسلامي، مثال ذلك ما جاء في البيان رقم واحد الذي أذيع بعد إسقاط عبد الكريم قاسم: (أبناء الشعب الكرام: إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الطاهرة لثورة ١٤ تموز المجيدة).. لقد تسلمت القوى العسكرية ذات

(١) المجلة الشهرية للقوات الجوية الأمريكية-بالعربية- ٤٥- صيف ٢٠٠٥.

الزراعة التسلطية، فكانت نسبتهم في مركز اتخاذ القرار (المجلس الوطني لقيادة الثورة) هي: ٦٠% (١٢ من أصل ٢٠) ناهيك عن دورهم في المؤسسات المؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية العامة^(١) لهذا وغيره كان لزاماً تربية العسكريين على العقيدة الميية على الكتاب والسنة، ومن أبرز ما يجب أن يربى عليه العسكريون في العقيدة الصحيحة ما يلي:

١. توجيه مصدر التلقي:

يربى العسكريون على أن توجهه الوحيد الذي لا يقبل الرفض الكتاب والسنة، وأنها مرجع الحاكم والقاع للزراع قال تعالى (وَإِن كَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَضَّلْنَا مَثَلًا لِمَثَلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِذْ قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْشُوا وَلَا تَخْلَفُوهَا أُولَئِكَ هُمُ الصَّالِحُونَ) (١) فلهذا الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، ظهر لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هنا، ولا رأي، ولا قول، كما قال عز وجل (وَتَعَالَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكَمَ فِيهِمْ شَرٌّ مِمَّا يُكْتُمُونَ) (٢) لا يجرأ في أنفسهم خراجاً مما قضيت وتسلموا تسليمًا^(٣).

(١) عيد الكريم قاسم في يومه الأخير - ٢٨٦ - عقول اللصوي - دار السنة حورية - ط ١٣ - ٢٠٠٣ م.

(٢) سورة الأحزاب - رقم الآية (٣٦).

(٣) سورة النساء - رقم الآية (١٥). والطرف: عقود لمن تكلم - ١١٩/١ - دار السنة حورية - الطبري - ٩/٢٢.

أمرنا الله تعالى بإتباع ما أنزل إلينا من ربنا وإتباع ما يسألكي منه من الهدى وقد أنزل علينا الكتاب والحكمة كما قال تعالى { وَاتَّكِرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِمَ بِهِ } (١) وبعد أن نقل ابن تيمية بعض الآيات الدالة على هذا المعنى، قال: (فهذه النصوص توجب إتباع الرسول وإن لم نجد ما قاله منصوصا بعينه في الكتاب كما أن تلك الآيات توجب إتباع الكتاب وإن لم نجد ما في الكتاب منصوصا بعينه في حديث عن الرسول غير الكتاب. فعلينا أن نتبع الكتاب وعلينا أن نتبع الرسول وإتباع أحدهما هو إتباع الآخر؛ فإن الرسول بلغ الكتاب والكتاب أمر بطاعة الرسول. والأحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في وجوب إتباع الكتاب وفي وجوب إتباع سنته ﷺ كقوله { لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: بيننا وبينكم هذا القرآن فما وجدنا فيه من حلال حللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمانه إلا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه إلا وإنه مثل القرآن أو أعظم } (٢).

٢. تصحيح المقصد في التدريب والجهاد:

إن الإخلاص مقام عظيم، ومنزلة جلية، وكانت الجاهليات تربي جنودها على منازل دينوية كما يفهم من السؤال الموجه

(١) سورة البقرة-رقم الآية (٢٢١).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية-٨٧/٩-٨٥. والحديث أخرجه الترمذي في كتاب العلم-باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ-برقم (٢٥٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

للرسول ﷺ: (عن الرجل يُقاتل شجاعاً، ويُقاتل حميةً، ويُقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»^(١). وقد جاء التوجيه الرباني بتصحيح المقصد لعساكر المسلمين بقوله {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصْخُتُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} (١٧).

ولما زلت مقاصد بعض الصحابة رضي الله عنهم وعفا الله عنهم، في غزوة أحد بعد أن أصبحت من أجل الدنيا، كما أخبر الله عليهم بقوله {وَلَقَدْ صَنَّفَكُمُ اللَّهُ نَعْتَةً إِذْ نَحْضُوهُمْ يُبَاهِيهِمْ حَتَّى إِذَا فَمِلْتُمْ تَتَنَزَّعْتُمْ لِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أُرَاكُم مَأْتِحُونَ مِنْكُمْ مَنْ يَأْتِي الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْتِيهِ الْآخِرَةَ نَمَّ صَرَفَكُمُ عَنْهُمْ لِيُبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (٢١)

ونقل المغسرون أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ما كنت أظن أحداً من أصحاب محمد يزيد الدنيا. حتى نزلت هذه الآية) فكانت النتيجة تغيير مسار المعركة من نصر إلى هزيمة، لأن المقصد عند البعض تغير (نم صرّفكم عنهم ليبتليكم) بمعنى بذلك جل تشاؤهم: (ثم صرّفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تـحجون فسيبهم، وفي أنفسكم من هزمتكم إياهم، وظهركم عليهم، فردّ

(١) صحيح مسلم-كتاب الإحرام-سبب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا- برقم (٣٥٢٥).

(٢) سورة الأنفال-رقم الآية (٤٧).

(٣) سورة آل عمران-رقم الآية (١٥٢).

وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولي، ومخالفتكم طاعته، وإيتارك
الدنيا على الآخرة، عقوبة لكم على ما فعلتم، لبيبتلكم، يقول:
ليخبركم، فيتميز المنافق منكم من المخلص، الصادق في
إيمانه منكم^(١).

٣. الإيمان بالقضاء والقدر:

القضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة، ومن صفات الله
تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء،
عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا
عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح
المسطور، خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء
برحمته، ويضل من يشاء بحكمته.. ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا
في ترك أوامره واجتباب نواهيه، بل يجب أن نؤمن، ونعلم أن الله علينا
الحجة بانزال الكتب وبعثه الرسل^(٢).

ونزلت آيات كريمة تربي الجنود على الإيمان بالقضاء والقدر،
وتنتهي عن الاعتراض على أقدار الله، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا
غُرُفًا لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي
قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣) فيخبر بذلك عن

(١) تفسير الطبري - ٤/٨١.

(٢) لمعة الاعتقاد - ابن قدامة - ١/١٩١.

(٣) سورة آل عمران - رقم الآية (١٥٦).

قول هؤلاء الكفار، أنهم يقولون لمن غزا منهم قتل أو مات فسي
سفر خرج فيه في طاعة الله أو تجارة: لو لم يكونوا خرجوا من
عندنا، وكانوا أقاموا في بلادهم ما ماتوا وما قتلوا. يقولون ذلك، كي
يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغماً، ويجهلون أن ذلك إلى
الله جل ثناؤه وبإيده^(١).

فقررت هذه الآية أن (بيده سبحانه وتعالى الخلق وإليه يرجع
الأمر، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزداد في
عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره، وعلمه وبصره نافذ
في جميع خلقه، لا يخفى عليه من أمورهم شيء)^(٢).

وتتحقق الحياة السعيدة للمسلم حينما يجتمع في عقيدة القضاء
والقدر الرضا و الصبر، والفرق بينهما، أن الصبر كف النفس وجسها
عن السخط مع وجود الألم وتمني زوال ذلك وكف الجوارح عن العمل
بمقتضى الجزع. وأما الرضا فهو انشراح الصدر وسعته بالقضاء وترك
تمني زوال الألم وإن وجد الإحساس بالألم لكن الرضا يخففه ما يباشر
القلب من روح اليقين والمعرفة^(٣).

(١) تفسير الطبري - ٩٦/٤.

(٢) تفسير ابن كثير - ١٢٧/٢.

(٣) جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحلبي - شرح حديث التاسع عشر - ١٦٠

وقد جمع النبي ﷺ بين الرضا والصبر بقوله: (واعلم أن النصر مع الصبر) (١) وجاء في بعض الآيات هذا التوافق قال تعالى {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (٢).

وإذا ربي العسكريون على هذه المعاني في القضاء والقدر فإنهم لا يرضون الدنية لدينهم، ويؤمن الواحد منهم من الانهزامية المعنوية والحسية، ويرتبط قلبه بربه. سبحانه وتعالى.

٤. السمع والطاعة في المعروف:

يؤكد علماء السلف رحمهم الله تعالى على السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، ويذكرون هذا التأكيد موصلاً في أبواب الجهاد، مستلين بما ثبت عن عبادة بن الصامت قال: دعانا النبي ﷺ فبايعتنا، فكان فيما أخذ علينا: " أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا

(١) مسند الإمام أحمد - ١٨/٥ - برقم (٢٨٠٣) حديث صحيح. انظر سلسلة الأحاديث ٤٩٦/٥.

(٢) سورة البقرة - رقم الآية (٢٤٩).

وقد جمع النبي ﷺ بين الرضا والصبر بقوله: (واعلم أن النصر مع الصبر)^(١) وجاء في بعض الآيات هذا التوافق قال تعالى (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)^(٢).

وإذا ربي العسكريون على هذه المعاني في القضاء والقدر فإنهم لا يرضون الدنية لدينهم، ويؤمن الواحد منهم من الانهزامية المعنوية والحسية، ويرتبط قلبه بربه. سبحانه وتعالى.

٤. السمع والطاعة في المعروف:

يؤكد علماء السلف رحمهم الله تعالى على السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، ويذكرون هذا التأكيد موصلاً في أبواب الجهاد، مستلين بما ثبت عن عبادة بن الصامت قال: دعانا النبي ﷺ فبايعنا، فكان فيما أخذ علينا: " أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا

(١) مسند الإمام أحمد - ١٨/٥ - برقم (٢٨٠٣) حديث صحيح. انظر سلسلة الأحاديث
٤٩٦/٥.

(٢) سورة البقرة - رقم الآية (٢٤٩).

كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»^(١). ومن تمام فقه الإمام مالك أنه
أورد هذا الحديث في كتاب الجهاد.^(٢)

وقال الحسن في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة
والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن
جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن-والله-
إن طاعتهم لغيب، وإن فرقتهم لكفر^(٣).

ويجمع السلف رحمهم الله على وجوب الخروج مع الولاة في
الجهاد والسمع والطاعة لهم، قال ابن تيمية (من أصول أهل السنة
والجماعة، الغزو مع كل بر وفاجر؛ فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنه إذا لم
يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور؛ فإنه لا
بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين
الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر
فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام؛ وإن لم يمكن
إقامة جميعها.

(١) صحيح البخاري-كتاب الفتن-باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي-

برقم (٦٥٣٢).

(٢) المنتقى شرح الموطأ-الباجي-١٥٩/٣-مطبعة السعادة-مصر-ط: ١-

١٣٣٢هـ-

(٣) جامع العلوم والحكم-ابن رجب الحنبلي-شرح حديث الثامن والعشرون-٢٢٥.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي
ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة»^(١) إلى غير
ذلك من النصوص التي أنفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف
على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم
وفجارهم^(٢).

وهذا ما قرره علماء الأمة بأن الجهاد ماضيا مع كل إمام برأ
كان أم فاجرا، والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمدا ﷺ إلى أن يقاتل آخر
هذه الأمة الدجال؛ لا يبطله جور جائرٍ ولا عدل عادلٍ. ووجوب السمع
والطاعة لأئمة المسلمين؛ برهم وفاجرهم مما لم يأمرُوا بمعصية الله^(٣).

٥. الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين:

من خلال عرض عقيدة ابن تومرت العسكرية يتبين أن جيوش
الموحدين تأسست على عقيدة الموالاتة والمعاداة من أجل مهديّة ابن
تومرت. ولهذا كثر (الخارجين) عن الإسلام والدين -حسب معتقدهم-
لمن تبرأ من القول بمهديّة وعصمة ابن تومرت. وأصدرت أحكام الردة
على المرابطين والمخالفين.

(١) صحيح مسلم-كتاب الإمارة- باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة برهم
(٣٥٤٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية- ٥٠١/٢٨.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية- ٣٢/١-٣٣. وانظر: لمعة الاعتقاد-
٣٢/١. وشرح العقيدة الطحاوية- ابن أبي العز الحنفي. والمواقف- الشاطبي-
٦/١.

ومن أهم مقتضيات عقيدة الولاء البراء، الجهاد في سبيل الله لأنه الفاصل بين الحق والباطل وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان. ومن الآيات التي تقرر مبدأ الولاء والبراء على أسس شرعية، وعقيدة صحيحة، قوله تعالى {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (١).

قال ابن تيمية عند هذه الآية: (جعل الله لأهل محبته علامتين: إتباع الرسول؛ والجهاد في سبيله. وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح؛ ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان. وقد قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} إلى قوله: {حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد. فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاته المحبوب وموافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض} (٢).

وثبت في الأحاديث الصحيحة قال النبي ﷺ (لا يجد أحد حلوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله وحتى أن يقذف في النار أحب

(١) سورة التوبة-رقم الآية (٢٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-١٠/١٩١-١٩٢.

إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما^(١).

إن من معاني هذا الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق الله ورسوله أكد عليه من حق أبيه وأمه وولده وزوجه وجميع الناس؛ لأن الهدى من الضلال والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله، ومن علامات محبته نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه^(٢).

وقد حرص النبي ﷺ على تربية الجنود الأوائل على البعد عن الانتماء الجاهلي، وأن يعتقدون في سلوكياتهم الولاء الشرعي، فعن أبي عقبة وكان مولى لأهل فارس قال شهدت مع النبي ﷺ يوم أحد فضربت رجلا من المشركين فقلت خذها مني وأنا الغلام الفارسي فبلغت النبي ﷺ فقال: ألا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري^(٣).

إن الآية السابقة فيها تقرير الجواب الذي ذكره في الآية الأولى وهي قوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ فَالظَّالِمُونَ، وذلك لأن جماعة من المؤمنين قالوا يا رسول الله، كيف يمكن البراءة منهم بالكلية؟ وأن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا، وهلاك أموالنا وخراب ديارنا، وإيقاعنا

(١) صحيح البخاري-كتاب الآداب-باب الحب في الله-رقم الحديث (٥٥٨١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري-ابن حجر-٤٧٨/١٠.

(٣) سنن ابن ماجه-كتاب الجهاد-باب النية في القتال-برقم (٢٧٧٤).

ضائعين. فبين تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليماً، وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله، فتربصوا بما تحبون، حتى يأتي الله بأمره، أي بعقوبة عاجلة أو آجلة^(١).

لقد أوضحت الآية الكريمة بالتصريح والتلميح، أن مسألة الولاء والبراء أساسه الدين دون أي اعتبارات أخرى، وإزالة مما قد يظهر للمسلمين على مر الدهور في المساومة على عقيدة الولاء والبراء بينت الآية التالية بطلان منهج التمييع العقدي، أو المساومة عليها، وهي قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا}^(٢).

هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكامل إيمانهم وتتمام اتصال بعضهم ببعض. {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم

(١) التفسير الكبير-الرازي-١٦/١٨.

(٢) سورة الأنفال- رقم الآية (٧٢).

في وقت شدة الحاجة إلى الرجال، فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء^(١).

ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبية الجاهلية، وتسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يكون أساس الولاء والبراء إلا الإسلام. وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال^(٢).

٦. الثبات حتى الممات:

إن حفظ الثغور وحماية الأنفس والأعراض، والصبر على منازلة الأعداء وتحمل المشاق في الحروب والاستعداد لها، يستلزم لهذه الأمور وغيرها إيماناً صادقاً، وأنفساً تأبى التنازل عن مبادئها، لهذا جاء تحريم الخيانة في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) في سياق آيات الجهاد.

وكان التولي عن العدو والهروب يوم الزحف في مصاف الشرك بالله، كما ثبت في الحديث (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا

(١) تيسير الكريم الرحمن - السعدي - ٢٨٨ - مؤسسة الرسالة - ط: ١ - ١٤٢٠هـ.

(٢) انظر عن موضوع الولاء والبراء: جامع الرسائل - ابن تيمية - ١/٣٧٣. والولاء والبراء - محمد بن سعيد القحطاني - دار طيبة - الرياض - ط: ١. والموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية - محماس بن عبدالله الجلعود - دار اليقين - المنصورية - ط: ١ - ١٤٠٧هـ. والرحيق المختوم - صفى الرحمن المباركفوري - ٢٨٢.

(٣) سورة الأنفال - رقم الآية (٢٧).

رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله
إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف
المحصنات المؤمنات الغافلات^(١) قال النووي: وأما عدّه ﷺ التولي يوم
الزحف من الكبائر فدلِيل صريح لمذهب العلماء كافة في كونه كبيرة^(٢).

وقد حرم الله في كتابه الانهزامية من مقابلة الأعداء، فقال لِيَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ^(٣).

إن التولي يوم الزحف على إطلاقه يستحق هذا التشديد لضخامة
آثاره الحركية من ناحية؛ ولمساسه بأصل الاعتقاد من ناحية، إن قلب
المؤمن ينبغي أن يكون راسخاً ثابتاً لا تهزمه في الأرض قوة، وهو
موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، وإذا جاز أن
تتال هذا القلب هزة - وهو يواجه الخطر - فإن هذه الهزة لا يجوز أن
تبلغ أن تكون هزيمة وفراراً. والآجال بيد الله، فما يجوز أن يولي
المؤمن خوفاً على الحياة. وليس في هذا تكليف للنفس فوق طاقتها.
فالمؤمن إنسان يواجه عدوه إنساناً، فهما من هذه الناحية يقفان على
أرض واحدة. ثم يمتاز المؤمن بأنه موصول بالقوة الكبرى التي لا
غالب لها. ثم إنه إلى الله إن كان حياً، وإلى الله إن كتبت له الشهادة.

(١) صحيح البخاري - كتاب الحدود - باب رمي المحصنات - رقم الحديث (٦٣٥١).

(٢) شرح صحيح مسلم - النووي - كتاب الإيمان - بيان الكبائر وأحكامها.

(٣) سورة الأنفال - رقم الآية (١٥).

فهو في كل حالة أقوى من خصمه الذي يواجهه وهو ينشاق الله
ورسوله^(١).

وجاء الثناء الإلهي لمن وفاء بما عاهد عليه الله، بقوله
تعالى {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ
نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}^(٢)، دلت هذه الآية على أن من
المؤمنين رجالاً أدركوا أمنيته، وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم فقاتلوا
حتى قتلوا {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ} فإنهم مستمرّون على الوفاء بما عاهدوا
الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ والقتال لعدوه، ومنتظرون لقضاء
حاجتهم وحصول أمنيته بالقتل، وإدراك فضل الشهادة، وما غيروا
عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم، بل
ثبتوا عليه ثبوتاً مستمرّاً^(٣).

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٤٨٩/٣.

(٢) سورة الأحزاب - رقم الآية (٢٣).

(٣) فتح القدير - الشوكاني - ٢٧٢/٤ - دار المعرفة - بيروت - لبنان

المبحث الثاني

الأسس العقائدية في الجانب العسكري في دعوة ابن تومرت

المطلب الأول

القضايا العقائدية العسكرية في نهج ابن تومرت

يتبين لنا من خلال التعريف السابق عن العقيدة العسكرية، أنها المفاهيم والمبادئ، والوسائل المادية، التي أصلها ابن تومرت وخليفته لأتباع دولة الموحدين.

وسوف نفصل أكثر في هذا المطلب المبادئ والمفاهيم التي بها أسس عقيدته العسكرية لدولة الموحدين، والتي من أبرزها:

(١) عصمة القائد:

من أبرز عقائد ابن تومرت العسكرية أن القائد معصوم، ومدلول قاعدة العصمة أنه لا يتصور أن يصدر منه خطأ أو باطل، فقد قال: (لا يكون الإمام إلا معصوماً من الباطل، ومعصوماً من الضلال ومعصوماً من الفتن، ومعصوماً من العمل بالجهل) ولم يورد المهدي تفصيلاً لمناط العصمة في فكر القائد وعمله، إلا أننا نستنتج من أقواله أن العصمة تتعلق بجانبين أشار إليهما في قوله (لا يصح الاتفاق إلا باستناد الأمور إلى أولي الأمر، وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم)^(١).

(١) كتاب الإمامة-ابن تومرت-٢٤٦.

لقد ربي هذا المعتقد (بأن القائد معصوم) جيوش الموحدين، حتى وصل بهم الحال بالانقياد للأوامر (لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء)^(١). ولهذا المعتقد استباحة دماء وأعراض المسلمين من المرابطين وغيرهم، ممن لم يتقبل دعوة ابن تومرت. حتى قال الذهبي عنهم: (ملكوا المدائن، وقهروا الملوك)^(٢).

وقال ابن القيم عن سياسة ابن تومرت: (إنه رجل كذاب ظالم، متغلب بالباطل، ملك بالظلم والتغلب والتحيل، فقتل النفوس، وأباح حريم المسلمين وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم)^(٣).

وبهذا المعتقد تم القضاء على جهود مشكورة ومذكورة في تاريخ دولة المرابطين، واستباح الموحدون دمائهم وأموالهم، ففي بداية حرب الموحدين قال ابن تومرت لأتباعه: (اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف، وإزالة البدع و الإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم، فقد أباحت السنة قتالهم)^(٤).

لقد أضافت العصمة على قرارات القائد سلامتها من الخطأ أو البطلان، لهذا استباحة الدماء أثناء دخول الموحدين عاصمة المرابطين

(١) المعجب-المراكشي-٦٢.

(٢) سير أعلام النبلاء-الذهبي-٥٣٩/١٩.

(٣) المنار المنيف-ابن القيم-١٥٣.

(٤) المعجب-المراكشي-٦٣.

(مراكش)، فقد: (استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذكور البالغين، إلا من تستر بالاختفاء في سرب أو غرفة أو مخبأ. وتمادي القتل فيها ثلاثة أيام، ثم نودي بالعمو فظهر من جميع الخلق بها، ما يناهز السبعين رجلاً، وبيعوا ببيع أسارى المشركين، هم وذراريهم^(١)).

إن عصمة القائد مرتبط بمبدأ العقيدة المهدية، لهذا إلزم الموحدون الاعتقاد بأن ابن تومرت هو (المهدي الذي سيملا الأرض عدلاً بعد أن ملأت جوراً) فمن يخرج عن هذه العقيدة يعتبر كافر مرتد حلال الدم والمال^(٢).

وقد اتبع ابن تومرت سياسة في إعلان المهدية لنفسه، فبعد أن اختار الأتباع، (واستوثق منهم دعاهم إلى القيام معه أولاً على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غير، ونهاهم عن سفك الدماء ولم يأذن لهم فيها، وأقاموا على ذلك مدة، وجعل يذكر المهدي ويشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنفات، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته ادعى ذلك لنفسه، وقال: أنا محمد بن عبدالله، ورفع نسبه إلى النبي ﷺ، وصرح بدعوة العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم

(١) الإجابة في أخبار غرناطة - ابن الخطيب - ٢٤/١ - تحقيق محمد عبد الله

عنان - ١٩٧٣م

(٢) انظر من أمثلة ذلك: مجموعة رسائل موحدية- ليفي بروفنسال - ٣٩.

أنه المهدي، وبسط يده على ذلك وقال: (أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله ﷺ رسول) (١).

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة في العصمة أنه لم ينله إلا رسول الله ﷺ، حتى أصحابه الكرام الذين هم خير القرون، لا نعتقد عصمتهم فضلاً من يأتي من بعدهم ممن هم من دونهم، وعند قول الله تعالى {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} (٢). قال المفسرون: معناه على قوانين الشرع؛ إما بوحي ونص، أو بنظر جارٍ على سنن الوحي. وهذا أصل في القياس؛ وهو يدل على أن النبي ﷺ إذا رأى شيئاً أصاب؛ لأن الله تعالى أراه ذلك، وقد ضمن الله تعالى لأنبيائه العصمة؛ فأما أحدنا إذا رأى شيئاً يظنه فلا قطع فيما رآه (٣).

وقد أجمع سلف المسلمين وأئمة الدين بأنه (ليس بعد رسول الله ﷺ أحد معصوم، ولا محفوظ من الذنوب ولا من الخطايا، بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب، وإذا أخطأ تبين له الحق فرجع إليه، وليس هذا واجباً لأحد بعد رسول الله ﷺ (٤). سواء كان عالماً أو حاكماً

(١) انظر: نظم الجمان-ابن القطان-٧٥-٧٦. والمعجب-المراكشي-٥٦.

(٢) سورة النساء-آية رقم (١٠٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-٣٧٦/٥.

(٤) جامع الرسائل-ابن تيمية-٢٦٦/١-دار المدني-جدة-الطبعة الثانية-١٤٠٥هـ.

أو عابداً، (فلا يجب العصمة للأئمة فيجوز عليهم الخطأ والكبائر فضلاً
عن الزلل في الاجتهاد)(١).

وقد فقه الخليفة عمر بن عبدالعزيز أن العصمة لا تتحقق إلا
بجماعة، فحينما كتب رجل إليه يسأله عن القدر؛ فكتب إليه عمر: (أما
بعد، فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسول الله
ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، وكفوا مؤونته،
فعليك بلزوم الجماعة فإنها لك بإذن الله عصمة)(٢).

(٢) الطاعة المطلقة:

من مبادئ العقيدة العسكرية عند ابن تومرت الطاعة المطلقة،
وقد أولى هذه العقيدة عناية فائقة لا تقل قدراً عن عنايته بمعتقد العصمة
والمهدية.

وقد فصل ابن تومرت طاعة القائد المطلقة، وجعل له حقوقاً
يجب أن تطبق وهي: العلم بالإمام-الإيمان والتصديق به-السمع
والطاعة له-والرضى بحكمه والانقياد لكل ما قضى به-إتباعه والإقتداء
بأفعاله-الرجوع إلى علمه واتباع سبيله-رفع الأمور إليه بالكلية)(٣).

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام- الشهرستاني. وانظر: أهل السنة والجماعة- عبد
الله بن عبد الحميد الأثري- ط: ١- وزارة الشؤون الإسلامية - المملكة
العربية السعودية-١٤٢٢هـ.

(٢) سنن أبي داود-كتاب السنة-باب لزوم السنة-برقم (٣٩٩٦).

(٣) كتاب الإمامة-بن تومرت-٢٥٢

وأحكم ابن تومرت في عقيدته العسكرية طاعة القائد، والتحذير من مخالفته، حتى خرج بهذا الإحكام عن الحدود الشرعية، فيقول (أما متى ضيع أمر الإمام أو عصي أو نوزع أو خولف أو أهمل أو عطل ولم يرجع إليه أو استبددونه بقول أو فعل أو رأي أو نظر أو تدبير أو أخذ أو عطاء، أو أمر أو نهى، أو استغنى عنه دقيقة أو أعرض عنه في خردلة، أو خولف سبيله أو طريقه أو سنته وعادته وسيرته وحكمته وعلمه ونظره وتدبيره ورأيه وعزمه، ومتى لم يوافق فيما دعا إليه، خولف في أدنى الأشياء، ومتى لم يرجع إلى علمه في الدقيقة والجليلة، ومتى لم يتبرأ الكل من الأمر إلا له من غير حرج ولا ضيق ولا تهمة ولا سوء ظن، فمتى كان شيء من ذلك عطل أمره وزال العمود وسقط السقف على الأرض)^(١).

ويسير القائد الميداني وخليفة ابن تومرت القائد عبدالمؤمن على نهج ابن تومرت في الطاعة المطلقة للقائد، فيقول عبدالمؤمن: (الانقياد لما يقضي به واجب والاستمساك بأمره حتم، والرجوع إليه في أمر الدين والدنيا فرض لأن قضاؤه وأمره هو قضاء ربه وأمره وإرادته وحكمه)^(٢).

وهذه العقيدة العسكرية مخالفة لنصوص الكتاب والسنة، قال تعالى لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

(١) المرجع السابق-٢٤٧

(٢) مجموعة رسائل موحدية - ليفي بروفنسال-١٣٤.

مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ^(١).

فمن دلائل هذه الآية (هو أمر من الله بطاعة رسوله في حياته
فيما أمر ونهى، وبعد وفاته في إتباع سنته؛ وذلك أن الله عمّ بالأمر
بطاعته ولم يخصص ذلك في حال دون حال، فهو على العموم حتى
يخصّ ذلك ما يجب التسليم له)^(٢).

والمقصود بـ(أولي الأمر): هم الأمراء والولاة، لصحة
الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة
وللمسلمين مصلحة.... فإذا كان معلوما أنه لا طاعة واجبة لأحد غير الله
أو رسوله أو إمام عادل، وكان الله قد أمر بقوله: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} بطاعة ذوي أمرنا، كان معلوما أن الذين
أمر بطاعتهم تعالى ذكره من ذوي أمرنا هم الأئمة ومن ولاه المسلمون
دون غيرهم من الناس، وإن كان فرضا القبول من كل من أمر بترك
معصية الله، ودعا إلى طاعة الله، وأنه لا طاعة تجب لأحد فيما أمر
ونهى فيما لم تقم حجة وجوبه إلا للأئمة الذين ألزم الله عباده طاعتهم
فيما أمروا به رعيته مما هو مصلحة لعامة الرعية، فإنّ على من
أمره بذلك طاعتهم، وكذلك في كل ما لم يكن لله معصية)^(٣).

(١) سورة النساء-آية رقم (٥٩).

(٢) تفسير الطبري - ١٧٦/٧.

(٣) تفسير الطبري - ١٨٤/٧.

وحيثما يحصل نزاع أو خلاف بين الله في الآية الكريمة السبيل القويم عند التنازع، {فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} فالتوجيه القرآني: (فإن اختلفتم أيها المؤمنون في شيء من أمر دينكم أنتم فيما بينكم، أو أنتم وولاية أمركم، فاشتجرتم فيه، (فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ) فارتادوا معرفة حكم الذي اشتجرتم أنتم بينكم، أو أنتم وأولو أمركم من عند الله، من كتاب الله، فاتبعوا ما وجدتم. فإن لم تجدوا إلى علم ذلك في كتاب الله سبيلاً، فارتادوا معرفة ذلك أيضاً من عند الرسول ﷺ إن كان حياً وإن كان ميتاً، فمن سنته) (١).

إن حصر المرجعية في عقيدة ابن تومرت العسكرية إلى رأي الإمام، هذا نوع من إحلال مرجعية غير الكتاب والسنة، والله يقول {الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} (٢) فيفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد أوضح تعالى هذا المفهوم موبخاً للمتحاكمين إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مبيّناً أن الشيطان أضلهم ضلالاً بعيداً عن الحق (٣).

وما جاءت به السنة متوافقة لما دلت عليه الآيات في تأكيد الطاعة لولاية الأمر ومقيدة هذه الطاعة بالمعروف، كقول النبي ﷺ:

(١) تفسير الطبري - ١٨٥/٧.

(٢) سورة النساء - آية رقم (٦٠).

(٣) أضواء البيان - الشنقيطي - ٢٠٣/١ - دار عالم الكتب.

(السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)^(١).

وثبت في السنة الصحيحة تطبيقاً عملياً عن مفهوم الطاعة بالمعروف للقائد، فعن علي رضي الله عنه قال بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة الطاعة في المعروف)^(٢).

لقد فقه سلف الأمة رضي الله عنهم هذا المبدأ الأصيل مع الولاية والأمر، فهذا ابن عمر رضي الله عنه لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه ابن عمر: (إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت وإن بني قد أقروا بذلك)^(٣).

(١) صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير-باب السمع والطاعة للإمام-رقم الحديث(٢٧٣٥).

(٢) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب سرية عبد الله السهمي-رقم الحديث(٣٩٩٥).

(٣) صحيح البخاري-كتاب الأحكام-باب كيف يبايع الإمام الناس-رقم الحديث(٦٦٦٥).

٣) تكفير المخالف:

إن العقيدة العسكرية عند ابن تومرت، سلكت مسلك (الإسقاط) لمن خالفها، وحكم عليهم بالردة والكفر، فمن أقواله في تقرير هذا المعتقد (..المجسمون الكفار وهم يتشبهون بالنساء في تغطية الوجوه بالتلثم والتتقيب، ويتشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تتقيب..)^(١).

ولم يكتف ابن تومرت تكفير مخالفيه، إنما تعداه بأن (كل من قتل من الكفرة والمجسمين فهو مخلد في نار جهنم وبئس المهاد، وكل من قتل من المؤمنين فهو من أهل الجنة)^(٢). ويعتبر التكفير هي المرحلة الأخيرة التي قررها ابن تومرت في عقيدته، ولكن سبقها مراحل منها:

أولاً) إنكار المنكر باليد واللسان، فمن صفاته (كان إذا مر به منكر غيره وأزاله)^(٣) وكان لا يرى منكراً من عادة الملاهي أو أواني الخمر، إلا كسرها)^(٤).

ثانياً) الطعن في ولاية المرابطين، فقال عن دولتهم قد (حدث فيها من الظلم والفساد، وأنه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لإتباعهم الباطل، بل الواجب قتالهم، ومنعهم عما هم فيه)^(١).

(١) أعز ما يطلب-ابن تومرت-٢٦٣

(٢) وثائق موحدية -٢

(٣) الكامل في التاريخ-ابن الأثير- ٢٩٤/٨.

(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان- اليافعي-٥/٢.

ثالثاً) الإنكار علانية على الخليفة: أعلن ابن تومرت الإنكار علانية على أمير المسلمين، فبعد ارتفاع شهرته^(٢) بين الناس بالإنكار، (رفع أمره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، فأحضره، وأحضر الفقهاء لينظروه، فأخذ يعظه ويخوفه، فبكى أمير المسلمين)^(٣).

رابعاً) نشر الدعوة للمهدية: يعلم ابن تومرت أهمية توسيع الدعوة، ولهذا فرق من يثق بسياسته من تلاميذه في البلاد القاصية والدانية، يدعون إلى بيعته، ويثبتون عند الناس إمامته، ويزرعون في قلوبهم محبته مما يذكرون له من الفضائل والكرامات ويصفونه به من الزهد في الدنيا وإظهار الحق^(٤).

فبعد هذه المراحل الأربع، أصدر ابن تومرت عقيدته في دولة المرابطين، والمخالفين بأنهم كفار، وقد ربي أتباعه على هذه المبادئ، وذكر لهم علامة المنافقين وبينها بأوضح بيان، وجعل القتل في ثمانية عشر صنفاً كالكذب والمداينة.. وحفظهم إياها، ورباهم به^(٥).

إن النصوص الشرعية جاءت محذرة من انتهاك مقام الإيمان، وإصدار حكم التكفير على الناس بلا برهان، فمن هذه النصوص، عن

(١) الكامل في التاريخ-ابن الأثير- ٢٩٥/٨.

(٢) انظر: المختصر في أخبار البشر-أبوالفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد- ٣٠٧/١.

(٣) الكامل في التاريخ-ابن الأثير- ٢٩٥/٨.

(٤) الأنيس المطرب-بن أبي زرع-٢٢٦.

(٥) نظم الجمان-ابن القطان-٢٧.

أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا قال الرجل لأخيه
يا كافر فقد بآء به أحدهما^(١).

وفي لفظ: (أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد بآء بها أحدهما إن
كان كما قال وإلا رجعت عليه)^(٢). قال ابن عبد البر: (والمعنى فيه عند
أهل الفقه والأثر: أهل السنة والجماعة: النهي عن أن يكفر المسلم أخاه
المسلم بذنب، أو بتأويل لا يخرج من الإسلام عند الجميع، فورد النهي
عن تكفير المسلم في هذا الحديث وغيره)^(٣).

لقد بين الذهبي منهج أهل السنة والجماعة، فيما يتعلق بقضية
التكفير وذلك أثناء مناقشته لبعض المنحرفين عقائدياً، فكان مما قال:
(فما ينبغي لك يا فقيه أن تبادر إلى تكفير المسلم إلا ببرهان
قطعي، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية فيمن قد
تبرهن زغله، وانتهك باطنه وزندقته، فلا هذا ولا هذا، بل العدل أن
من رآه المسلمون صالحاً محسناً، فهو كذلك،... وأن من كان
طائفة من الأمة تضلله، وطائفة من الأمة تُثني عليه وتبجله،
وطائفة ثالثة تقف فيه وتتورع من الحط عليه، فهو ممن ينبغي

(١) صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب من كفر أخيه بلا تأويل فهو كما قال-رقم
الحديث(٥٦٣٨). وانظر: شرح النووي على مسلم-٤٩/٢-دار إحياء التراث
العربي-بيروت.

(٢) صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان حال من قال لأخيه يا كافر-رقم
الحديث(٩٢).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأساني-ابن عبد البر-١٣/١٧-مكتبة
السوادي للتوزيع.

أن يُعْرَضَ عنه، وأن يُفَوِّضَ أمره إلى الله، وأن يُسْتَغْفَرَ له في الجملة، لأنَّ إسلامه أصليٌّ بيقين، وضلاله مشكوكٌ فيه، فبهذا تَسْتَرِيحُ ويصفو قلبك من الغلِّ للمؤمنين.. فما من إمام كامل في الخير إلاَّ وثمَّ أناسٌ من جهلة المسلمين ومبتدعيهم يذمُّونه ويحطُّون عليه، وما من رأس في البدعة والتجهم والرفض إلاَّ وله أناسٌ ينتصرون له، ويذبُّون عنه، ويدينون بقوله بهوى وجهل، وإنما العبرة بقول جمهور الأمة، الخالون من الهوى والجهل، المتصفون بالورع والعلم^(١).

وبهذا يعتبر منهج أهل السنة والجماعة من أقوم المناهج العقائدية في مسألة التكفير وأعدلها، والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين. واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار. ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم.

(١) سير أعلام النبلاء-الذهبي-٣١٣/١٤.

والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله. وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» (١)(٢).

٤) الولاء للمبادئ المهدية:

غرس ابن تومرت والقادة من بعده ضرورة الولاية والنصرة؛ لعقيدة مهدية ابن تومرت، وتعتبر هذه العقيدة هي أساس دعوة الموحدين، وهي المحرك الأصلي للجيش في حروبها ضد المرابطين وغيرهم.

إن التمسك (بالمهدية) من الوجهة السياسية والعسكرية والتي تحتاج إلى ضبط وربط، تعتبر فكرة وسيلة ممتازة لكسب الأنصار، وضمان ولائهم المستمر، حيث يلتفون دونما انقراط حول الشخص الذي يعتقدون أنه المهدي المنتظر، ويعتقدون أنه سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ولذلك فقد استعملها كثير من الساسة والثائرين في مختلف العالم الإسلامي.

وقد نصت توجيهات ابن تومرت ليس على الاعتقاد بالمهدية فقط بل على الولاء من أجلها، (ورسوخها في قلب الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى) (١).

(١) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - تحريم ظلم المسلم رقم الحديث (٤٦٥٠)

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - ٢٨٢/٣. (بتصرف)

ومن عقيدة ابن تومرت العسكرية أن من يخالف هذا المبدأ
(الولاء للمهدي) يقتل ويعتبر خارج عن الدين، كما جاء في رسائل
ال خليفة عبدالمؤمن لقادة الجيوش، (تأملوا ما أشتمل عليه كتاب الإمام
المعصوم، الذي هو هدى وتبيان، ونور وبرهان، واهتدوا بهدي من
الهداية مخصوصة، واعتصموا بحبل من العصمة عليه منقولة
منصوصة، فلا مطمع في الهداية إلا منه، ولا وجه لأخذ العلم ومعرفة
الحقيقة إلا عنه ومن لدنه، وها نحن نقصد قصده ونتحداه، ونجاهد على
إمضاء ما انطوى عليه معناه وليكن ما تأتونه وتذرونه، وتقدمونه في
هذا المقصد وتؤخرونه، جارياً على حكم الإمام المعصوم، المهدي
المعلوم، مستنداً إليه ففعله هو الذي نفتدي به، ونستمسك بسببه، ونمضيه
على وجهه، ونجزيه على رسمه، فلا نجاة إلا اتباعه ولا أمانة إلا في
الامتسك بأقواله وأفعاله)^(٢).

ويعتبر الخروج عن ولاء مهدي ابن تومرت، ردة يوجب
القتل^(٣)، كما وقع لأحد أصحاب المهدي العشرة، والمدعو عبدالله بن
يعلي الزناتي المعروف بابن ملوية، حيث لجأ إلى أمير المرابطين علي
بن تاشفين، واتجه إلى قبيلة كنفيسة بالقرب من تينمل، وعرض عليهم
الانضمام إليه للسيطرة على تينمل، ولكن كنفيسة برئاسة أحد زعمائها

(١) محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس - سعد زغلول -
٢٥ (بتصرف)

(٢) مجموعة رسائل موحدية - ليفي بروفنسال - ١٣٤. كتب في الثالث من ربيع
الأول سنة ٥٥٦هـ

(٣) أخبار المهدي بن تومرت - الصنهاجي (البيدق) - ٨٢.

اتفقت فيما بينها على معارضته والتمسك بدعوة المهدي، وقتلوا ابن ملوية ونقلوا جثته إلى تينملل حيث صلبت بها^(١).

ويستمر الخروج عن عقيدة ابن تومرت العسكرية، ويستمر معها الحكم بالقتل، وقد ذكر عبدالمؤمن في أحد رسائله عن بعض الخارجين عن العقيدة التومرتية، فيقول: (انتبذوا عن أمر المهدي بالغراء، واتخذوه وراءهم ظهيراً بجانب الأبعاد والإقصاء، وصارت حرمانه عندهم منتهكة، وأماناته مستهلكة.. واقترن بهم من قرناء الرجس، وشيطان الأنس، من كان يلقي إليهم زخرف القول غرورا، ويعدهم بما يوهلون له جذلاً بنبيله وسرورا)^(٢).

إن من أساس الجيوش أن ينشر فيها الولاء لمبادئها، ولهذا كان المنهج النبوي أوضح المناهج في ذلك، وضربت أمثلة متنوعة في سيرته عن هذا الجانب، وأخبر الله تعالى في كتابه عن الولاء في جيش نبيه ﷺ، فقال {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}^(٣) وقال {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا}^(٤). فمن مفهوم هذه الآيات القرآنية، يظهر أن (الجهاد الوحيد الذي يأمر به الإسلام، ويقره ويثيب عليه؛ ويعتبر

(١) أخبار المهدي بن تومرت-الصنهاجي (البندق)-٤٦.

(٢) مجموعة رسائل موحدية - ليفي بروفنسال-٣٩.

(٣) سورة البقرة-آية رقم (١٩٣)

(٤) سورة النساء-رقم الآية (٧٥).

الذين يقتلون فيه شهداء؛ والذين يحتملون أعباءه أولياء. إنه القتال لله، لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة، القتال في سبيل الله. لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض، ولا في سبيل المغانم والمكاسب؛ ولا في سبيل الأسواق والخامات؛ ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس، إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرار منهجه في الحياة، وحماية المؤمنين به أن يفتتوا عن دينهم، أو أن يجرفهم الضلال والفساد^(١).

لقد ربي النبي ﷺ أصحابه على الولاء لهذا المبدأ، فقد كره رسول الله ﷺ لفتى فارسي يجاهد أن يذكر فارسيته ويعتز بجنسيته في مجال الجهاد، فعن عبدالرحمن بن أبي عقبة عن أبيه (وكان مولى من أهل فارس) قال: «شهدت مع النبي ﷺ أحداً. فضربت رجلاً من المشركين، فقلت: خذها وأنا الغلام الفارسي: فالتفت إلي النبي ﷺ فقال: هلا قلت وأنا الغلام الأنصاري؟ إن ابن أخت القوم منهم، وإن مولى القوم منهم^(٢). فقد كره له ﷺ أن يفخر بصفة غير صفة النصر للنبي ﷺ، وأن يحارب تحت شارة إلا شارة النصر لهذا الدين، وهذا هو الجهاد. وفيه وحده تكون الشهادة، وتكون الحياة للشهداء^(٣).

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٧٠٧/٢.

(٢) سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في العصبية - رقم الحديث (٤٤٥٨) وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الجهاد - باب النية في القتال - رقم (٢٧٧٤).

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٧١٠/٢.

٥) الإلزام والانقياد:

من أبرز ما كتب أهل الأخبار عن عقيدة ابن تومرت العسكرية، اتصافها بشدة الربط والضبط، والإلزام والالتزام، فأصدار الحكم بالتكفير لمن لا يتقيد وينقاد للأوامر، وإهدار الدم لمن يعصي الأوامر والتوجيهات.

ومما ذكره الإخباريون أن (كل من تهاون في الطاعة لأوامره أو خرج عنها قتل، ومن لم يحفظ حربه أو درسه ضرب بالسياط، وإن تمادى في ذلك قتل. ومن يداهن عن ابنه أو أخيه أو أبيه أو قريبه قتل، فلا بد أن يبلغ الكل عن المتهاونين)^(١).

وقد ألف ابن تومرت كتاباً في التوحيد، و من قراراته العسكرية عليهم أن (جعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور، وقال لهم: من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بمؤمن، وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته، فصار هذا التوحيد عند قبائل المصامدة كالقرآن العزيز)^(٢).

من المعلوم في النهج العسكري يلزم الانضباط والالتزام، وكان النبي ﷺ يربي أصحابه على هذا الأمر، فقد روى أهل السير أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر

(١) نظم الجمان-ابن القطان-٢٩. وانظر: كتاب القواعد-ابن تومرت-٢٥٧

(٢) الأنيس المطرب-بن أبي زرع-٢٢٧.

بسواد بن غزيرة، وهو مستنزل من الصف، فطعن رسول الله ﷺ بالقدرح في بطنه، وقال: استؤ يا سواد. - الحديث - (١).

ومما يدل على مفهوم الانضباطية والالتزام في جيوش المسلمين، قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُورًا} (٢) قال سعيد بن جبیر: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصفاهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. وأن يلتصق بعضه في بعض، من الصف في القتال (٣).

ومما تدل عليه هذه الآية خاصة، وآيات القرآن عامة في قضية الانضباط:

إن القرآن في توجيهاته وأحكامه لجيوش المسلمين، (كان يبني أمة. كان يبنيها لتقوم على أمانة دينه في الأرض، ومنهجه في الحياة، ونظامه في الناس، ومنذ اليوم الأول للدعوة قام مجتمع إسلامي أو جماعة مسلمة ذات قيادة مطاعة هي قيادة رسول الله ﷺ وذات التزامات جماعية بين أفرادها، وذات كيان يميزها عن سائر الجماعات حولها،

(١) معرفة الصحابة - لأبي نعيم الأصبهاني - ٧١/١٠ - برقم (٣١٣٣) - تحقيق عادل العزازي - دار الوطن - الرياض - ١٤١٩ هـ. وانظر: عيون الأثر - ابن سيد الناس - ٣٩٥/١. والسيرة النبوية - ابن كثير - ٤١٠/٢.

(٢) سورة الصف - آية رقم (٤).

(٣) تفسير ابن كثير - ١٣٣/٨.

و ذات آداب تتعلّق بضمير الإنسان مراعى فيها في الوقت ذاته حياة هذه الجماعة^(١).

ومن الأمثلة التطبيقية من هدي النبي ﷺ عن الالتزام في العقيدة العسكرية، أنه بعد غزوة الخندق، وخيانة اليهود للعهد^(٢) مع النبي ﷺ، وضع الرسول ﷺ السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال وضعت السلاح، فوالله ما وضعت، فقال رسول الله ﷺ، فأين؟ قال: ها هنا، وأوماً إلى بني قريظة^(٣) ثم قال النبي ﷺ لأصحابه بالإنزام والضبط: (.. لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال: بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم).

٦) التربية والتعليم:

من مبادئ العقيدة العسكرية عند ابن تومرت، العناية بالتعلم والتربية، فدولة الموحدين من الدول القلائل التي جعلت من العلم أهم ركيزة قامت عليها، فمؤسسها يعتبره بعض المؤرخين من العلماء^(٤).

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٦ - ٣٥٥٢.

(٢) انظر سيرة ابن هشام - ٣ - ٢٢٥.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب الغسل بعد الحرب - رقم (٢٦٠٢) و (١٩٤).

(٤) تاريخ ابن خلدون - ٦ - ٢٦٦. وانظر: نظم الجمان - ابن القطان - ٣٧.

وذاوات آداب تتعلّق بضمير الإنسان مراعى فيها في الوقت ذاته حياة هذه الجماعة^(١).

ومن الأمثلة التطبيقية من هدي النبي ﷺ عن الالتزام في العقيدة العسكرية، أنه بعد غزوة الخندق، وخيانة اليهود للعهد^(٢) مع النبي ﷺ، وضع الرسول ﷺ السلاح واغتسل، فأناه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال وضعت السلاح، فوالله ما وضعت، فقال رسول الله ﷺ، فأين؟ قال: ها هنا، وأوماً إلى بني قريظة^(٣) ثم قال النبي ﷺ لأصحابه بالإلزام والضبط: (.. لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال: بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم).

٦) التربية والتعليم:

من مبادئ العقيدة العسكرية عند ابن تومرت، العناية بالتعلم والتربية، فدولة الموحدين من الدول القلائل التي جعلت من العلم أهم ركيزة قامت عليها، فمؤسسها يعتبره بعض المؤرخين من العلماء^(٤).

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٦/ ٣٥٥٢.

(٢) انظر سيرة ابن هشام - ٢٢٥/٣.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب الغسل بعد الحرب - رقم (٢٦٠٢) و (٨٩٤).

(٤) تاريخ ابن خلدون - ٦/ ٢٦٦. وانظر: نظم الجمان - ابن القطان - ٣٧.

وقال عنه ابن خلدون: (لم يكن من منبث الرياسة في هرثمة قومه، وإنما رأس عليهم بعد اشتهاره بالعلم)^(١). وقال الذهبي: (قبث في المصامدة العلم)^(٢) فكانت المبادئ تلقن للأتباع تلقيناً وتعليمياً، وألف ابن تومرت للأتباع عقيدة بلسانهم-اللغة البربرية- ثم صنف لهم تصانيف، منها كتاب (أعز ما يطلب) وعقائد في أصول الدين)^(٣).

ولتعظيم العلم في كتابه (أعز ما يطلب) صدره بهذه العبارات: أفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما يعمل، الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، هو أعز المطالب، وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر وأحسن الأعمال)^(٤).

ولأهمية العلم في بناء الأمم فقد حرص ابن تومرت أن يبينه لأتباعه أتم بيان، فقال: (شروط العلم تسعة، وهي: الفراغ التام، والبصيرة النيرة، والسريرة الحسنة، والهمة العالية، والصبر الحديدي، والإقتداء بالإمام الناصح، وإتباع السبيل الواضح، والتأدب بأدب أهله وألا يبتغى ما سوى وجه الله تعالى)^(٥).

وترسم خلفاء الموحدين من بعد ابن تومرت خطاه، وساروا على آثاره في جعل الدولة دولة علمية، فيعتبر عبدالمؤمن-المؤسس

(١) مقدمة ابن خلدون-١/١٧٩.

(٢) سير أعلام النبلاء-الذهبي- ١٩/٥٣٩.

(٣) المعجب-المراكشي-٥٥.

(٤) أعز ما يطلب-ابن تومرت-٢٩.

(٥) نظم الجمان-ابن القطان-١٦٨.

الميداني لدولة الموحيدين - من طلاب العلم، فيذكر المؤرخون النقائه
بابن تومرت، حيث (صادف عبدالمؤمن، فحدثه ووانسه، وقال: إلى أين
تسافر؟ قال: أطلب العلم. قال: قد وجدت طلبتك. ففقهه، وصحبه،
وأحبه، وأفضى إليه بأسراره، لما رأى فيه من سمات النبيل)^(١).

ويظهر الاهتمام بالجانب العلمي والتربية في عقيدة ابن تومرت
العسكرية، من خلال النقاط التالية:

أ- تأسيس مدارس للتربية العسكرية:

لقد نظم الخليفة عبد المؤمن أمور دولته وجعل لها مؤسسات،
ومن التنظيم أن جعل وزيراً لشؤون الحرب والجهاد اصطلاح على
تسميته بصاحب السيف، ووزيراً للثغور^(٢). كما أنشأ مدرسة في مراكش
لتخريج قادة الجيش وموظفي الدولة، وكان يختار طلابها من مدن
الدولة وقراها الذين أكملوا تعليمهم الأول في بلدانهم، وحض الناس على
العلم وإرادته لهم ولبنيتهم، واستدعاء الصبيان الصغار الأسنان من أبناء
أشبيلية وقرطبة، وفاس، وغيرها إلى حضرته.. فانتخب الأولاد الحفاظ
من كل بلد، فكان عدد الذين توجهوا من أشبيلية خمسين صبياً^(٣) وبنى
المدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس، كما جعل للفقهاء وطلبة
العلم مرتبات^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء - الذهبي - ٣٦٦/٢٠.

(٢) موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية - الرباط - المغرب

(٣) نظم الجمان - ابن القطان - ١٣٩.

(٤) انظر: الأعلام - الزركلي - ٢٠٣/٨.

الميداني لدولة الموحدين - من طلاب العلم، فيذكر المؤرخون التقائه بابن تومرت، حيث (صادف عبدالمؤمن، فحدثه ووانسه، وقال: إلى أين تسافر؟ قال: أطلب العلم. قال: قد وجدت طلبتك. ففقهه، وصحبه، وأحبه، وأفضى إليه بأسراره، لما رأى فيه من سمات النبيل)^(١).

ويظهر الاهتمام بالجانب العلمي والتربية في عقيدة ابن تومرت العسكرية، من خلال النقاط التالية:

أ- تأسيس مدارس للتربية العسكرية:

لقد نظم الخليفة عبد المؤمن أمور دولته وجعل لها مؤسسات، ومن التنظيم أن جعل وزيراً لشؤون الحرب والجهاد اصطاح على تسميته بصاحب السيف، ووزيراً للثغور^(٢). كما أنشأ مدرسة في مراكش لتخريج قادة الجيش وموظفي الدولة، وكان يختار طلابها من مدن الدولة وقرأها الذين أكملوا تعليمهم الأول في بلدانهم، وحض الناس على العلم وإرادته لهم ولبنيتهم، واستدعاء الصبيان الصغار الأسنان من أبناء أشبيلية وقرطبة، وفاس، وغيرها إلى حضرته.. فانتخب الأولاد الحفاظ من كل بلد، فكان عدد الذين توجهوا من أشبيلية خمسين صبياً^(٣) وبنى المدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس، كما جعل للفقهاء وطلبة العلم مرتبات^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء - الذهبي - ٣٦٦/٢٠.

(٢) موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية - الرباط - المغرب

(٣) نظم الجمان - ابن القطان - ١٣٩.

(٤) انظر: الأعلام - الزركلي - ٢٠٣/٨.

وكان المنهج التعليمي في هذه المدرسة الجمع بين العلم والعمل، يذكر المؤرخون عن نهج المدرسة في التعليم أن الخليفة عبدالمؤمن قد (وقف الحفاظ لحفظ (كتاب الموطأ) و (كتاب أعز ما يطلب) وغير ذلك من تواليف المهدي، وكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر، فيجتمع الحفاظ فيه، وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة، من المصامدة ومن غيرهم، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده) هذا عن الجانب العلمي.

أما عن الجانب العملي فكان يأخذ التلاميذ (يوماً بتعليم الركوب، ويوماً بالرمي بالقوس، ويوماً بالعموم في بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة، ويوماً يأخذهم بأن يجذفوا على قوارب وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة، فتأدبوا بهذه الآداب، تارة بالعتاء وتارة بالآداب).

وتعتبر دولة الموحدين من الدول السابقة في التعليم الداخلي، فمنهج هذه المدرسة تعليم داخلي، حيث يقول المؤرخون (كانت نفقتهم وسائر مؤنتهم من عنده، وخيلهم وعدتهم كذلك) وفي نهاية التعليم والتدريب يتخرج الدارسون ويعملون في مقامات الدولة، (ولما كمل له هذا المراد فيهم من التعليم والتدريب - عزل بهم أشياخ المصامدة عن ولاية الأعمال والرئاسة، وقال: العلماء أولى منكم، فسلموا لهم، وأبقاهم معهم في المشورة)^(١).

لقد عرف الخليفة عبدالمؤمن أهمية الذين تلقوا تعليماً حربيّاً منظماً، وحاجة البلاد إليهم ووجوب تقديمهم على من لم يبلغوا هذا

(١) الحلل الموشية - ١٥٠.

التعليم مهما كان حسن بلائهم في خدمة الدعوة والدولة، (إذ أن الطلاب في تلك المدرسة كانوا يعدون إعداداً عاماً مشتركاً، ثم يرسل فريق منهم للإدارة، وآخر للجيش، وثالث للأسطول)^(١).

وتستمر عناية خلفاء الموحدين بهذه المدرسة وطلابها، ففي خلافة أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ)^(٢): نال عنده طلبه العلم ما لم ينالوا في أيام أبيه وجده، وانتهى أمره معهم إلى أن قال يوماً بحضرة كافة الموحدين، يسمعهم: [يا معشر الموحدين، أنتم قبائل فمن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته، وهؤلاء - يعني الطلبة - لا قبيل لهم إلا أنا، فمهما نابهم أمر فأنا ملجؤهم، وإلي فزعهم وإلي ينتسبون، فعظم منذ ذلك اليوم أمرهم، وبالغ الموحدون في برهم وإكرامهم]^(٣).

ب- الاحتفاء بالعلماء والأدباء:

لما كان أساس قيام دولة الموحدين على العلماء، فقد حظيت مجالس الخلفاء بهم، وكانوا مكان المشورة، وكان هؤلاء العلماء في مختلف الفنون، وكانوا يكرمون قدوم العلماء عليهم، فلما جاء وفد أهل أشبيلية للمبايعة كان في مقدمة الوفد جمع من العلماء منهم: القاضي أبو بكر بن العربي الذي تقدم وخطب خطبة بليغة استحسناها الخليفة

(١) النظم الحربية في دولة الموحدين - حمد السحبياني - ٢٠٣ - الطبعة الأولى - ١٤٢٤هـ

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء - ٣١١/٢١.

(٣) المعجب - المراكشي - ٢٥٥.

عبدالمؤمن، ودفعوا إليه بيعة أهل أشبيلية مشهودة بخطوطهم، فقبلها منهم واستحسن فعلهم (١).

ومن سياسة الموحدين في تكريم العلماء أنهم يستجلبون (العلماء إلى حضرتهم من أهل كل فن، وخاصة أهل علم النظر، ولا بد في كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة منهم، من حضور هؤلاء الطلبة الأشياخ منهم فأول ما يفتتح به الخليفة مسألة من العلم يلقبها بنفسه أو تلقى بأذنه) (٢).

ج - تعيين العلماء ضمن رجالات الدولة:

لقد أدرك ابن تومرت دور العلماء في تثبيت الدولة، والعناية التامة برأيهم، لهذا اختار عبدالمؤمن طالب العلم خليفة له، وقائداً لجيوشه.

كما تولى العلماء تربية الخلفاء، فعبدالمؤمن الخليفة الأول بعد المؤسس ابن تومرت هو من تربية العلماء، فقد: (ارتحل في طلب العلم فنزل بتلمسان. وأخذ عن مشيختها. تعطش التلميذ إلى القراءة، وارتحل -عبدالمؤمن- إلى بجاية للقاء ابن تومرت، وعكف عبد المؤمن على التعليم والأخذ عنه في ظعنه ومقامه. وارتحل إلى المغرب في صحابته

(١) الحلل الموشية-١٢٢-١٢٣.

(٢) المعجب-المراكشي-٢٥٥.

وحقق في العلم. وآثره الإمام بمزيد الخصوصية والقرب بما خصه الله به من الفهم والوعي للتعليم. وكان يؤمله لخلافته^(١).

التعليق

في ت

للإدرا

وممن تولى تربية الخلفاء من العلماء عبد الله بن سليمان الأنصاري الحارثي الأندلسي: فقد كان فقيهاً جليلاً أصولياً، نحويًا، كاتبًا، أديبًا، شاعرًا، متفنوناً في العلوم، ورعاً، ديناً، حافظاً، ثباتاً، وملوك الموحدين به اعتناء كبير. وهو كان أستاذ الناصر وإخوته^(٢)، وقد أدب أولاد المنصور بمراكش^(٣).

خلا

العل

بحد

نابه

أنا:

ذلك

وقد عمل عدد من العلماء في مجلس الخليفة، منهم أبو بكر بن زهر، الذي كان من أهل بيت كلهم علماء ورؤساء وحكماء ووزراء، نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم^(٤) واستمر أبو بكر في خدمة الموحدين إلى أن مات سنة ٥٩٦ هـ بمراكش^(٥). كما عمل أبو الوليد بن رشد الحفيد، عند خلفاء الموحدين^(٦). واقترح عليه أن يؤلف كتاباً يشرح فيه فلسفة أرسطو، فعمله من أربعة أجزاء^(٧).

م

م

أنا

ب

(١) تاريخ ابن خلدون - ١٥٠/٦. (بتصرف)

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة - - ٤٨٩/١.

(٣) سير أعلام النبلاء - ٤١/٢٢.

(٤) وفيات الأعيان - ابن خلكان - ٤٣٤/٤.

(٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء - ابن أبي أصيبعة - ٣٤٥/١.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء - الذهبي - ٩٨/٢١. وانظر: المعجب - المراكشي - ٢٥٥.

(٧) المعجب - المراكشي - ٢٥٦.

واستدعي المحدث أبو القاسم السهيلي إلى مراكش وحظي بها،
وولي القضاء وحسنت سيرته^(١). وألف كتابه (الروض الأنف) الذي قال
في مقدمته: (الحمد لله الذي ألحقنا بعصابة الموحدين ووقفنا للاعتصام
بعروة هذا الأمر المتين)^(٢).

ومن العلماء الذين عملوا ضمن ديوان الخلافة، أحمد بن عبد
الرحمن الأنصاري الخزرجي يكنى أبا العباس: كان محدثاً أكثر ثقة،
مقرئاً، وقد ألحقه عبد المؤمن بجملة طلبة العلم، وتحفا به، وقدمه إلى
الأحكام بحضرة مراكش، فقام بها مدة، ثم ولاه قضاء غرناطة، ثم نقله
إلى إشبيلية قاضياً بها وألزمه خدمة الخزانة العلمية وكانت عندهم من
الخطط التي لا يعين لها إلا كبار العلماء^(٣).

د- توظيف العلم في توطين الدولة:

من العقيدة العسكرية عند ابن تومرت أنه استقطاع أن يجعل
العلم أصلاً من أصول دولته، ولهذا كان ضمن التقسيم الطبقي عند ابن
تومرت طائفة تسمى (طبقة الطلبة) وكانوا قد تخصصوا في دراسة
مؤلفات ابن تومرت وعلى رأسها كتابه "أعز ما يطلب"- وكان لها
مركز كبير في نظام الدولة الموحدية، وعليهم كان يعتمد رجال الدولة
في الأعمال الكتابية والإدارية وكل نواحيها. ومنهم كان الخلفاء
الموحدون يختارون مندوبيهم ورجال دعوتهم. فشكّلوا بذلك عصب

(١) الوافي بالوفيات-الصفدي-٧٦/٦.

(٢) الروض الأنف-السهيلي-٣١/١-تحقيق وتعليق عبدالرحمن الوكيل.

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة-٢٣/١. (بتصرف)

الدعوة الموحدية، إذ كان
وفي التطور المذهبي للدولة الموحدية.

وكلمة (طلبة) لا يعني أنهم أحداث الأسنان ومبتدئ الطلب،
ولكن هذه الطبقة (تتكون من علماء الموحدين، أو من كبار العلماء
عموماً.. وهي الطبقة العليا المفكرة وهي المناط بها الناحية التعليمية
والتثقيفية في النظام الموحد فمهمة هذه الطبقة الأمور السياسية، إذ
سيعتمد على أفرادها في حكم الدولة. وخير ما يمثل ذلك تعيين كثيراً
من كبار الطلبة وزراء عند أمراء ولايات الدولة^(١).

وكان الخليفة عبدالمؤمن يواصل تعليماته وتوجيهاته إلى هؤلاء
الطلبة من أجل توطين الدولة وتثبيتها، وكان: (يأمر الذين يفهمون
اللسان العربي ويتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى
آخر القول في المعجزات ويحفظوه ويفصوه، ويلتزموا قراءته
ويتعهدوه. ويأمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها
وتعاهدها على سبيل التفهم والتبين والتنبه والتبصر).

ومن أجل توظيف العلم في تأسيس الدولة تولى الخليفة توزيع
كتب ابن تومرت على الطلبة، وقال: (أنفذنا إليكم نسخة كتاب كريم،
صدر عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، مشتمل على جوامع الكلم،
ومنطق على روائع الحكم، فيه الملاذ والمعاد، وعليه الاعتماد
والاستناد، وإليه المرجع، والمفرع).

(١) انظر: قيام دولة الموحدين - مراجع عقيلة الغناى - ٢٣٣ (بتصرف)

الدعوة الموحدية، إذ كان لهم دور مهم في تثبيت دعائم البيت الموحد
وفي التطور المذهبي للدولة الموحدية.

وكلمة (طلبة) لا يعني أنهم أحداث الأسنان ومبتدئ الطلب،
ولكن هذه الطبقة (تتكون من علماء الموحدين، أو من كبار العلماء
عموماً.. وهي الطبقة العليا المفكرة وهي المناط بها الناحية التعليمية
والثقافية في النظام الموحد فمهمة هذه الطبقة الأمور السياسية، إذ
سيعتمد على أفرادها في حكم الدولة. وخير ما يمثل ذلك تعيين كثيراً
من كبار الطلبة وزراء عند أمراء ولايات الدولة^(١).

وكان الخليفة عبدالمؤمن يواصل تعليماته وتوجيهاته إلى هؤلاء
الطلبة من أجل توطين الدولة وتثبيتها، وكان: (يأمر الذين يفهمون
اللسان العربي ويتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى
آخر القول في المعجزات ويحفظوه ويفصوه، ويلزموا قراءته
ويتعهدوه. ويأمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها
وتعاهدها على سبيل التفهم والتبين والتبصر).

ومن أجل توظيف العلم في تأسيس الدولة تولى الخليفة توزيع
كتب ابن تومرت على الطلبة، وقال: (أنفذنا إليكم نسخة كتاب كريم،
صدر عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، مشتمل على جوامع الكلم،
ومنطق على روائع الحكم، فيه الملاذ والمعاد، وعليه الاعتماد
والاستناد، وإليه المرجع، والمفرع).

(١) انظر: قيام دولة الموحدين - مراجع عقيلة الغناى - ٢٣٣ (بتصرف)

كما أمر الخليفة بنشر الكتاب وأن يقوم الطلبة بهذه السياسة، فقال: (ولتقدموا طلباً أمناء من قبلكم يعلمون الناس قراءة توحيدهم وحفظه وحفظ أم القرآن وما تيسر معها من السور.. وليكونوا من الذين يراقبون ويحافظون، ولا يراعون في حقوق الله تعالى ولا يداهون.. وليكن ما تأتونه وتدرونه، وتقدمونه في هذا المقصد وتأخرونه، جارياً على حكم الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، مستنداً إليه ففعله هو الذي نقنّدي به، ونستمسك بسببه، ونمضيه على وجهه، ونجزيه على رسمه، فلا نجاه إلا أتباعه ولا أمانة إلا في الامتسك بأقواله وأفعاله)^(١).

ومن سياسة الخليفة عبدالمؤمن في توظيف العلم لبناء دولة الموحدين، أنه حينما يعين والياً على أحد بلاد المسلمين كان يرسل معه مجموعة من العلماء والحفاظ، كما فعل حينما عين الأمير يحيى بن عبدالمؤمن والياً على مدينة (بجاية). وكذلك في تعيين أمير (أشبيلية) صحبه من أبناء الجماعة النبهاء والفضلاء والفرسان الأنجاد، ومن الحفاظ من أبناء أهل الخمسين من الموحدين من كل قبيلة من الموحدين)^(٢).

وأكد عبدالمؤمن على إلزام مرافقة الولاة المعينين، كبار الحفاظ من الطلبة، وذلك في رسائله إلى طلبه الموحدين، حيث قال: يكون مع كل واحد من المذكورين -الولاة- من ينتهي إليه الاستحسان، ويقوم

(١) مجموعة رسائل موحدية - ليفي بروفنسال - ١٢٦-١٢٨ - وهي المعروفة

برسالة الفصول، وكتبت في الثالث من ربيع الأول سنة ٥٥٦ هـ.

(٢) المن بالإمامة - عبدالمملك بن صاحب الصلاة.

على خيره وفضله الجلاء والبيان، فعين لهم من كبار الطلبة والحفاظ
وأعيان الفقهاء والقضاء، ونخبة الأماناء والثقة، وخيار الانجاد من
الغزاة، من يعينهم في جمع العساكر وتمييز القبائل وتأليف الكتائب
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كافة المقاصد والمذاهب، وأخذ
الناس بالتفقه في دينهم وتعلم ما يتعين تعلمه باللازم الواجب، والعدل
بين الأحكام^(١).

(٧) مبدأ التمييز^(٢) عند ابن تومرت:

إن معتقد التمييز في العقائد العسكرية معروف في تاريخها
ونظامها، فمثال ذلك ما أخبر الله تعالى عنه في قصة طالوت وجنوده،
قال تعالى (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ
شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ
فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا
طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مَن
فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)^(٣).

وهذه الآية سبقتها آيات تحكي قصة بني إسرائيل مع نبيهم،
وتعطي للأمم تجارب الجيوش العارمة، من أبرز هذه التجارب (أن
الحماسة الجماعية قد تخدع القادة لو أخذوا بمظهرها. فيجب أن

(١) مجموعة رسائل موحدية - ليفي بروفنسال - ٦٥.

(٢) التمييز في الشيء هو أن يكون كل نوع منه مابيناً لغيره وصائراً على حدته.
انظر: كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري - ٨٣/١.

(٣) سورة البقرة رقم الآية (٢٤٩).

يضعوها على محك التجربة قبل أن يخوضوا بها المعركة الحاسمة.. ولكن هذه الحماسة البالغة ما لبثت أن انطفأت شعلتها، وتهاوت على مراحل الطريق كما تذكر القصة؛ وكما يقول السياق بالإجمال: {فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم}.

إن هذه الظاهرة هي ظاهرة بشرية على كل حال، في الجماعات التي لم تبلغ تربيتها الإيمانية مبلغاً عالياً من التدريب، وهي خليفة بأن تصادف قيادة الجماعة المسلمة في أي جيل، فيحسن الانتفاع فيها بتجربة بني إسرائيل (١).

ويخبر الله تعالى عن أمة محمد ﷺ في قضية التمييز في الحروب، فيقول: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (٢).

يقول تعالى مبيناً أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعدارهم التي اعتدروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر، ثم ذكر الحكمة في (تثبيطهم) فقال {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ

(١) في ظلال القرآن-سيد قطب- ٢٤٤/١. (بتصرف)

(٢) سورة التوبة-رقم الآية (٤٦-٤٧)

إلا خبالاً { أي: نقصاً. ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، وهم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم.

{ وَفِيكُمْ } أناس ضعفاء العقول مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثيبتكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستصحبهم. فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فله أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفاً من أن يداخلهم ما لا ينفعهم، بل يضرهم (١).

ويذكر الفقهاء أن من آداب الجهاد: أن (يمنع المخذل من الخروج في الجيش، فإن خرج رده، والمخذل هو: من يخوف الناس بأن يقول عدونا كثير، وخيولنا ضعيفة، ولا طاقة لنا بهم. وفي معناه المرجف، فالمرجف من يكثر الأراجيف، بأن يقول: قتلت سرية كذا، أو لحقهم مدد للعدو من جهة كذا، أو لهم كمين في موضع كذا) (٢).

فالتمييز في المعتقد العسكري مطلب شرعي، ولكن في عقيدة ابن تومرت العسكرية كان مبدأ التمييز ليس بمثل هذه الوجهة الشرعية، وإنما كان التمييز بأن أباح ابن تومرت دم كل من يشك في عصمته أو يخالفه فيما يدعو إليه، ولهذا كان يقوم بعملية التمييز عند بداية الحروب

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي - ٢٤٤/٣.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين - النووي - ٤٤٢/٧ وانظر: الإتحاف - المرزداوي - ١٤٢/٤.

والقتال، للتعرف على ولاء أصحابه وإيمانهم بما قال به، فمن شك في ولاءه أو أظهر له شيئاً من المخالفة له أمر بقتله^(١).

ولما كان التمييز يعني الكشف عن الخبايا والمعتقدات القلبية، لزم أن تتكرر في جيوش الموحدين، (فكان يعرضهم للامتحان ما بين الحين والحين فيما عرف عندهم بالتمييز ليفرق بين المخلصين منهم وبين المخالفين والمنافقين)^(٢).

ومن صور التمييز التي وقعت بأمر ابن تومرت بأنه: (نادى في أهل الجبل بالحضور إلى ذلك المكان، فحضروا للتمييز، فكان الونشريشي يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته، فيقول: هذا من أهل النار، فيلقى من الجبل مقتولاً، وإلى الشاب الغر، ومن لا يخشى، فيقول: هذا من أهل الجنة، فيترك على يمينه، فلما فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمره)^(٣).

ويستمر معتقد التمييز في العقيدة العسكرية عند الموحدين، حتى ولاية الأمير الثالث من أمراء دولة الموحدين وهو الخليفة (يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن، وكانت مدة حكمه ١٥ سنة، وتوفي سنة ٥٩٥هـ) الذي أوقف التمييز وألغى معتقد المهديّة، وقال عنه الزركشي: أخبرني الشيخ أبو العباس أحمد المري ونحن بحجر الكعبة قال: قال لي أمير

(١) انظر: أخبار المهدي ابن تومرت-الصنهاجي (البينق)-٣٩.

(٢) محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس-سعد زغلول عبد الحميد-٢٨.

(٣) الكامل في التاريخ-ابن الأثير-٢٩٤/٨.

المؤمنين أبو يوسف: يا أبا العباس أشهد لي بين يدي الله عز وجل أنني لا أقول بالعصمة - يعني عصمة ابن تومرت - وقال لي يوماً وقد استأذنته في فعل شيء يفتقر إلى وجود الإمام: يا أبا العباس أين الإمام؟ أين الإمام؟^(١).

وقد أمر الخليفة يعقوب علماء زمانه أن لا يقلدوا أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين، بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس^(٢).

٨) الاحتماء القبلي:

لم يغفل ابن تومرت أهمية العنصر القبلي في عقيدته العسكرية، واحتماء الداعية بها، وقد قال تعالى {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} ^(٣)، فمدلول هذه الآية الكريمة: أن نبي الله شعيباً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام منعه الله من الكفار، وأعز جانبه بسبب العواطف العصبية، والأواصر النسبية من قومه الذين هم كفار.

وهو دليل على أن المتمسك بدينه قد يعينه الله ويعزه بنصرة قريبه الكافر، كما بينه تعالى في مواضع أخر. كقوله في صالح وقومه: {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ

(١) المعجب-الزرركشي-١٩٠.

(٢) مرآة الجنان - الياضي-١٢٧/٢. وانظر: وفيات الأعيان-ابن خلكان-٣/٧-رقم (٨٢٩).

(٣) سورة هود آية رقم (٩١).

أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } (١) ففي الآية دليل على أنهم لا قدرة لهم على أن يفعلوا السوء بصالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إلا في حال الخفاء، وأنهم لو فعلوا به ذلك خفاء وسرقة لكانوا يحلفون لأوليائه الذين هم عصبته أنهم ما فعلوا به سوءاً، ولا شهدوا ذلك ولا حضروه خوفاً من عصبته. فهو عزيز الجانب بسبب عصبته الكفار (٢).

لقد أدرك ابن تومرت هذه المعاني في العصبية، لهذا كان من عقيدته العسكرية العناية بها، وأول ما بدأ الأمر (توجه إلى الجبال وحشد واستمال المصامدة) (٣) لقد تم الالتفاف القبلي الديني حول ابن تومرت ورأس سائر المصامدة ودانوا باتباعه والانقياد إليه (٤) وإيضفاء الصبغة الدينية، وإستغلال الحماس الديني في عقيدة ابن تومرت العسكرية، تسمى المصامدة بالموحدين لتسمية ابن تومرت لهم (٥).

جاء الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة فمحووا آثار المرابطين، وقد كانت قبيلة المصامدة، تمتاز بموروث تاريخي في الحروب، وتظهر هذه المكانة أنه أثناء حصار الموحدين لمدينة مراكش أقترح أحد القادة العسكريين على الخليفة ابن تاشفين الخروج من

(١) سورة النمل آية رقم (٤٩)

(٢) أضواء البيان-الشنقيطي-٤٧/٣. وانظر عن العصبية في الرئاسة مقدمة ابن خلدون -١٧٧/١.

(٣) وفيات الأعيان-ابن خلكان-رقم الترجمة (٤٠٨).

(٤) مقدمة ابن خلدون -٥٧/١.

(٥) انظر: المعجب-المراكشي-٧٦.

استمرار وفتنهم، فقال الخليفة له: (يا أبا محمد أتحسب أن قتل
المصامدة مثل قتال الروم؟ فقال له: يا أمير المسلمين: قد كان عسدي
ببلاد الأندلس جماعة منهم، نعلم خفتهم وشجاعتهم، وتسارعهم للقتال)^(١)
واستمرت قبائل المصامدة لها وزنها العسكري في جيون
الموحدين، فهي أول القبائل مبايعة للخليفة عبدالمؤمن بعد موت ابن
تومرت، وقاد بها عبدالمؤمن إلى بلاد الأندلس، وامتدت دولته في
أفريقيا كلها بمؤازرة المصامدة، كما كانوا لهم الحظوة الكبرى في
مجالس الخليفة^(٢).

(٩) المبايعة وأخذ العهود:

نلاحظ من خلال استقراء وتتبع دعوة ابن تومرت، وكذلك
فتوحات خليفته من بعده التأكيد على مبدأ البيعة والوفاء بالعهود، كما
أنها تتكرر في أكثر من مناسبة وموقعة.

ومما لا ريب فيه ضرورة أن يؤكد القائد هذه المبادئ على
أتباعه، وأن يذكرهم بها، وهو من المنهج النبوي ففي حديث سلمة
رضي الله عنه قال (بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل الشجرة فلما خف

(١) الحلل الموشية-١١٥.

(٢) انظر: المعجب-المراكشي-٦٧. وسير أعلام النبلاء-الذهبي-٢٠٠/٢٦٦.
ورسائل موحدية- ليفي بروفنسال-٥٤. والحلل الموشية-٥٨-٥٩.

الحصار وقتالهم، فقال الخليفة له: (يا أبا محمد أتحسب أن قتال المصامدة مثل قتال الروم؟ فقال له: يا أمير المسلمين: قد كان عندي ببلاد الأندلس جماعة منهم، نعلم خفتهم وشجاعتهم، وتسارعهم للقتال^(١)).

واستمرت قبائل المصامدة لها وزنها العسكري في جيوش الموحدين، فهي أول القبائل مبايعة للخليفة عبدالمؤمن بعد موت ابن تومرت، وقاد بها عبدالمؤمن إلى بلاد الأندلس، وامتدت دولته في أفريقيا كلها بمؤازرة المصامدة، كما كانوا لهم الحظوة الكبرى في مجالس الخليفة^(٢).

٩) المبايعة وأخذ العهود:

نلاحظ من خلال استقراء وتتبع دعوة ابن تومرت، وكذلك فتوحات خليفته من بعده التأكيد على مبدأ البيعة والوفاء بالعهود، كما أنها تتكرر في أكثر من مناسبة وموقعة.

ومما لا ريب فيه ضرورة أن يؤكد القائد هذه المبادئ على أتباعه، وأن يذكرهم بها، وهو من المنهج النبوي ففي حديث سلمة رضي الله عنه قال (بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل الشجرة فلما خف

(١) الحلل الموشية-١١٥.

(٢) انظر: المعجب-المراكشي-٦٧. وسير أعلام النبلاء-الذهبي-٣٦٦/٢٠. ورسائل موحدية- ليفي بروفنسال-٥٤. والحلل الموشية-٥٨-٥٩.

الناس قال يا ابن الأكوخ ألا تتابع؟ قال قلت قد بايعت يا رسول الله قال
وأيضاً فبايعته الثانية.. (١).

وفي العقيدة العسكرية عند ابن تومرت نجد أن أخذ البيعة من
الأتباع قد بدأ من أوائل دعوته، فلما كان عام (٥٠١هـ) عاهده فيها
أهل التحقيق من العارفين به وبايعوه بيعة سر (٢). وقال لهم ابن تومرت:
(أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ) (٣).

ويستمر مبدأ المبايعة في نهج من بعده من خلفاء وأمراء دولة
الموحدين، وتتم عن طريق أمر الخليفة، كما في مبايعة ولاية العهد،
الذي قال عنها أبو حفص عمر - أحد القادة العسكريين - : هذا أمر نحن
نقدمه بتقديمه وأعلم بوجوبه ولزومه، وأولى بتأميره علينا وتحكيمه،
ونحن السابقون إلى مبايعته (٤).

ولما تم بناء الجانب العقدي في جيش الموحدين، تحرك الجيش
للمنازلة الميدانية، فكانت المواجهات العسكرية مع المرابطين، ففي سنة
٥١٧هـ جهز جيشاً عظيماً من المصامدة، وقال لهم [اقصدوا هؤلاء
المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إمامة المنكر
وإحياء المعروف، وإزالة البدع و الإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن

(١) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب البيعة في الحرب ألا يفرو -
برقم (٢٧٤٠)

(٢) نظم الجمان - ابن القطان - ٦٢.

(٣) المعجب - المراكشي - ٥٥.

(٤) الحلل الموشية - ٥٨.

أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا
فقاتلوهم.

وبعد خسارة الموحدين في معركة (البحيرة) رجع القوم إلى ابن
تومرت، جعل يهون عليهم أمر الهزيمة، ويقرر عندهم أن قتلهم شهداء
لأنهم ذابون عن دين الله، مظهرون للسنة، فزادهم ذلك بصيرة في
أمرهم، وحرصاً على لقاء عدوهم، ومن حينئذ جعل المصامدة يشنون
الغارات على نواحي مراکش، ويقطعون عنها مواد المعاش وموصول
المرافق ويقتلون ويسبون ولا يبقون على أحد ممن قدروا عليه^(١).

(١) المعجب-المراكشي-٦٣-٦٥.

المطلب الثاني

التنظيمات العسكرية في نهج ابن تومرت

كما سبق بيانه أن العقائد العسكرية تشمل التنظيم والتخطيط العسكري، وكما تم بيان البناء العقدي في جيوش الموحدين، أبين أبرز العقائد العسكرية عند ابن تومرت وخليفته عبدالمؤمن في التنظيم العسكري، وهو ما يسمى (بالعمليات العسكرية)^(١). ومن هذه التنظيمات:

(١) توحيد القيادة:

من أبرز التنظيمات العسكرية في عقيدة جيوش الموحدين، توحيد القيادة فلا نجد تعدد القيادات عند الموحدين، كما يبرز في التنظيم العسكري أن القائد الأعلى للدولة يتولى بنفسه قيادة الجيوش في المعارك.

ويبدو أن انشغال ابن تومرت بأعباء دعوته الجديدة حال بينه وبين مباشرته قيادة الجيش بنفسه أثناء المعارك، فـ(لم يفتح شيئاً من المدائن، وإنما قرر القواعد، ومهد، وبغته الموت، وافتتح بعده البلاد عبدالمؤمن)^(٢).

وبإضافة ما ذكر سابقاً من تنظيمات عقائدية عند ابن تومرت، يمكن أن يتحقق فيه ما وصف بأنه (كان متيقظاً في أحواله، ضابطاً لما

(١) انظر: تطور العقائد والاستراتيجية العسكرية-اللواء عبدالرحمن الشهري.

(٢) العبر في خبر من غبر-الذهبي-٤/٥٧-٦٢.

ولي من سلطانه، شرع وأمرع، ومهد الملك لغيره^(١) فلا تحرك
الجيش إلا بأمره.

إن ابن تومرت بولي على قيادة الجيش من بخسار، وبصرف
بصفة الولاء التام لعقيدة المهدية، ففي أول لقاء عسكري مع المرابطين
جهز جيش الموحدين، ثم أمر على الجيش عبدالمؤمن بن علي، وقيل
[أنتم المؤمنون وهذا أميركم] فاستحق عبدالمؤمن من يومئذ إمرة
المؤمنين^(٢).

أما عبدالمؤمن فكان يتولى بنفسه قيادة الجيش أثناء المعارك،
ولم يكن بكل تلك المهمة إلى أحد إلا في حالات نادرة أو في الحركات
العسكرية الصغيرة^(٣).

إن توحيد قيادة الجيش يعطي قوة في الثبات وتوحيد القرارات،
(ويعمل الجيش كيد واحدة تحت قيادته، بوجههم القائد في الوقت الحاسم
للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم، وهذا هو واجب القائد الكفء)^(٤).

٢. التقسيم الطبقي للجماعة:

استطاع ابن تومرت أن يؤسس عقيدته العسكرية، ويلزم الناس
بها، ويتولى بمبادئه أن يسقط دولة المرابطين، وتحقق له هذا حينما قام

(١) رومن القرطاس بن أبي زرع - ٢٢٢.

(٢) انظر: المعجب - المراكشي - ٦٤.

(٣) انظر: النظم الحربية في دولة الموحدين - حمد السحبياني - ١٨٦.

(٤) المرجع السابق - القائد محمود خطاب - ٢٩ - مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٩٦٠ م

تنظيماً محكماً يجمع شمل الأتباع والموالين، ويكون متصاعداً دوائر
مترتبة اتساعاً، يزداد نموها بازدياد الأنصار، وتكون قابلة للمزيد من
الموالين الذين ما أن يعلنوا ولاءهم حتى يربطهم التنظيم بطريق نوابهم
ورؤساء قبائلهم.

لقد كان من ضمن العقيدة العسكرية عند ابن تومرت في جانب
التنظيم العسكري، (طبقات الموحدين) أو كما سماهم عبدالمؤمن
(بالرتب)^(١) وقد اختلف كتاب التاريخ في تعداد الطبقات، ولكنهم اتفقوا
على أهميتها في تبليغ دعوة (المهدي) ومناصرتة، وأنهم أهل مشورة
ورأي عنده. يقول ابن القطان: (ولكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا
يتعداها إلى غيرها لا في السفر ولا في الحضر، وأخذهم في تارك
امتثال أمر من يسمع أمره بالقتل، وبإيعوه على هذا)^(٢).

وهذه الطبقات المتفق عليها عند أغلب المؤرخين، أربع طبقات
وهي محددة بحسب الدخول في دعوة ابن تومرت، وهي:

الطبقة الأولى: طبقة العشرة: وضع فيها ابن تومرت كبار
شيوخ القبائل المصمودية، وغير المصمودية بالإضافة إلى خاصة ممن
يثق في قدراتهم الشخصية ويؤمل فيهم آمالاً كباراً في دفع الدولة
الموحدية، ولعله كان يرغب في ربط شيوخ القبائل به ربطاً محكماً
وإعطائهم أهمية تجعلهم في أقرب ركابه، وبالتالي يضمن طاعة وتبعية
قومه وبقية القبيلة).

(١) مجموعة رسائل موحدية - ليفي بروفنسال - ٥٤.

(٢) نظم الجمان - ابن القطان - ٨٢.

الطبقة الثانية: طبقة الخمسين: انتماء جميع الرجال إلى القبائل، فقد اختارهم ابن تومرت من بين زعماء القبائل المختلفة، وإن كانت زعامتهم من الدرجة الثانية ووضعهم في طبقة واحدة. فبضم زعماء القبائل في طبقاته المختلفة، تمكن من جعلهم يكونون بالولاء والطاعة للطبقة ومن للحركة، بدلاً من جعلهم يكونون بالولاء الأسبق لقبائلهم).

الطبقة الثالثة: طبقة السبعين: وهي ثالث هذه الطبقات في نظام ابن تومرت. ولهذه الطبقات الثلاث، صفة سياسية وذلك على خلاف بقية الطبقات، فهذه هي الموكل بها أمر الدعوة والقيادة وتنفيذ الأحكام وغيرها من أمور الحكم).

الطبقة الرابعة: طبقة الطلبة: وتتكون من علماء الموحدين، أو من كبار العلماء عموماً، وهي الطبقة العليا المفكرة وهي المناط بها الناحية التعليمية والتثقيفية في النظام الموحد^(١).

وللقيمة المعنوية لهذه الطبقات، وأثرها في دولة الموحدين فقد (شدد - ابن تومرت - في المعاملة، وضبط أمرهم فيها فانضبط)^(٢). كما كان ابن تومرت (يعقد الأمور العظام مع أصحابه العشرة، لا يحضر معهم غيرهم، فإذا جاء أمر أهون أحضر الخمسين، فإذا جاء دون ذلك، أحضر معهم السبعين)^(٣).

(١) قيام دولة الموحدين - مراجع عقيلة الغنای - ٢٣١-٢٣٣. وانظر: الحل المواشية - ١٠٩.

(٢) نظم الجمان - ابن القطان - ٨٢.

(٣) الحل المواشية - ١٠٨-١٠٩.

لقد طرأ على عدد الطبقات تغييراً في عهد الخليفة عبدالمؤمن، ولكن أساس الاختيار في الطبقات المقربة لدى صاحب القرار يبقى (السابقة في متابعة ابن تومرت) فكان التقسيم الجديد للطبقات، هو:

الطبقة الأولى: وقد عرفها المؤرخون بأنهم: السابقون الأولون الذين بايعوا الإمام المهدي وصحبوه، وغزوا معه، وصلوا خلفه، والذين شاهدوا البحيرة وبأؤوا بفضلها، واشتملوا ببردة شرفها، وارتقوا إلى ذروة الحظوة بها، وشهد لهم بالفضل الذي لا يؤازي والرتبة التي لا تعادل.

الطبقة الثانية: ويتلو هذه الطبقة من أمن بهذا الأمر، ودخل في هذا الحزب، وانضوى إلى هذا الشعب من بعد البحيرة إلى فتح وهران.

الطبقة الثالثة: من فتح وهران إلى هلم جرا.

وبعد إعلان تطوير الطبقات، قال الخليفة عبدالمؤمن: (جرى هذا التطوير على نظام أحكم فيه الوصف، ورتب فيه الوضع، وروعت فيه الزلف والقرب، والمنازل المعلومة والرتب.. عرف الناس بسيماهم، ووقف بهم عند غاياتهم، وعلم كل مركزه، واحتل بمحطه، ووجد نفسه حيث وضعها العمل وأهلها السعي)^(١).

لقد ظهرت قوة الموحدين الدينية هذه في تنظيماتهم العسكرية وروحهم الحربية القتالية، وبترتيب قبائل المصامدة ترتيباً دقيقاً حسب الأقدمية بالنسبة للدخول في مذهب التوحيد، وسجل أفراد كل من هذه

(١) مجموعة رسائل موحدية - ليفي بروفنسال - ٥٤.

القبائل في ديوان الجيش حسب الترتيب، وكونوا الجيش النظامي للدولة
الذي كان مستقراً في العاصمة مراكش وفي مدن الأقاليم.

(٣) إدخال العنصر العربي^(١) في الجيش:

لم يخف على الخليفة عبدالمؤمن قيمة العنصر العربي، وقد قال
شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن
جنس العرب أفضل من جنس العجم، عبرانيهم وسريانيهم، روميهم
وفرسيهم، وغيرهم)^(٢). وهذا الذي يدل عليه مجموعة من الأحاديث
الواردة في هذا الباب منها قوله ﷺ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد
إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم،
واصطفاني من بني هاشم)^(٣)

لذا فقد حرص الخليفة عبدالمؤمن الكومي البربري على استمالة
القبائل العربية إلى دولته، فانتسب إليهم وقال (إنما نحن من قيس غيلان
بن مضر بن نزار، ولكومية علينا حق الولادة، والمنشأ فيهم، وهم

(١) وتقصد بالعرب هم: بنو هلال وسليم.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم-٣٧٠/١. وانظر: السلسلة الضعيفة-الأبائي-
٢٤٠/١.

(٣) صحيح مسلم-كتاب الفضائل-باب فضل نسب النبي ﷺ-برقم الحديث (٤٢٢١).

مراكش^(١) كما أقام الخليفة بجبل الفتح (جبل طارق بن زياد) يرتب شئون الأندلس ومن ذلك ترك جماعات من العرب بمدن الأندلس^(٢).

٤) تعليم قتال البحر والتدريب عليه:

من العقائد العسكرية عند ابن تومرت في جانب التنظيم، العناية بالتدريب العملي، وتربية الجيش على وسائل القتال، ومن أبرز الوسائل العسكرية الأسطول التي أولت دولة الموحيدين عناية فائقة به والتدريب عليه، وبخاصة لما عرفوا عن دوره في توطيد دولة المرابطين، وأثره في مقاتلة النصارى^(٣).

لقد كان للخليفة عبدالمؤمن دور بارز في بناء الأسطول البحري، وذلك بناء على خبرته العسكرية في مجال الحروب، وكذلك الموقع الجغرافية لبلاده، فهو يعلم أن الوسيلة الصالحة في القتال والدفاع هي الأسطول البحري، (فأقام مدة يعمر الأسطول، ويجمع العساكر القريبة منه)^(٤) كما أمر بإنشاء القطائع في سواحل العدو والأندلس، فصنع منها زهاء مائتي قطعة^(٥). وللمتابعة التامة من

(١) أخبار المهدي-الصنهاجي (البيذق)-١٢٠.

(٢) المعجب-المراكشي-٢٢٦. انظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس-حسن علي حسن-٣١٢-مكتبة الخانجي-القاهرة-ط:١-١٩٨٠م (بتصرف)

(٣) انظر: الكامل في التاريخ-ابن الأثير-حوادث (٤٨١)-١٤٧/٨.

(٤) الكامل في التاريخ-ابن الأثير-٣٠/٩.

(٥) المن بالإمامة-ابن صاحب الصلاة-٢١٣.

الخليفة فقد تمكنت دور صناعة السفن في سنة ٥٥٧هـ - صناعة
أربعمائة قطعة بحرية^(١).

كما رتب عبدالمؤمن هذه القوة بأن جعل مراتبها من مراتب
الدولة ومرؤوسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الأحوال.
ويسمى صاحبها في عرفهم (الملند)^(٢) وانتهت أساطيل المسلمين على
عهده في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما
عهدناه، كما قال ابن خلدون^(٣).

ويسطر ابن الأثير نموذجاً للحصار البحري في حروب
الموحدين، وذلك أثناء قتال المهديّة فيقول: (أقبلوا يقاتلون المهديّة مع
الأيام، فلا يؤثر فيها لحصانيتها وقوة سورها وضيق موقع القتال عليها،
لأن البحر دائر بأكثرها، فكانها كف في البحر، وزندها متصل بالبر)^(٤).

ومن خلال الاستقراء في سياسية عبدالمؤمن العسكرية وما
يتعلق في التنظيم، نجده يولي إهتماماً بالغاً في إظهار الصناعات
وتطوير دولته، فمن ذلك أنه أقام في جبل طارق، طاحوناً هوائية، وقد
قال ابن صاحب الصلاة: (صنع في أعلاه رحي تطحن الأقوات بالريح
عابنها الثقات)^(٥) وبلاد الأندلس (أوروبا) المجاورة لجبل طارق في هذا

(١) الأنيس المطرب-بن أبي زرع-٢٠١.

(٢) تاريخ ابن خلدون-١/٢٦٥.

(٣) مقدمة ابن خلدون - ١/٣١٣.

(٤) الكامل في التاريخ-ابن الأثير-٩/٦٣.

(٥) المن بالإمامة-ابن صاحب الصلاة-٨٨. وانظر: الحلل الموشيه-١٥٥.

الوقت تعيش في ظلام دامس، وبخلافات توراتية وقصص وأساطير إنجيلية.

هذا فيما يتعلق بالإنشاء والبناء، ويوازن البناء والإنشاء للأسطول عند الموحدين، بناء الإعداد والتدريب، فمن مجالات التدريب البحري أنه (كانت تقام بجوار مراكش بركة، وضعت فيها القوارب والأفلاك وسفن الحرب الصغيرة، وفيها يتعلم الطلاب التجديف، وقيادة السفن، وكل ما تتطلبه الحرب البحرية من فنون ومهارة. وكان هؤلاء الفتيان الذين يسمون بـ(الحفاظ) يعرضون من وقت إلى آخر أعمالهم وبراعتهم أمام أمير المؤمنين، ويخص أولئك الذين يمتازون منهم بالبراعة والجرأة والعزم وحضور البديهية بجوائز الأمير وصلاته، أو يتلقون منه ثناءه ومدحه في عبارات مشجعة، فكان ذلك يذكي همم الفتيان للحظوة برضى الأمير وعطفه^(١).

٥) التحصينات العسكرية:

عرف المقاتلون من بداية الحروب أهمية الحصون وضرورتها لحماية المقاتلين من الأعداء، وعند قوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)^(٢) - الآيات - قال بعض المفسرين أن المراد بالقوة: الحصون^(٣).

(١) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين - يوسف أشياخ - ٢/٢٤٨. والحلل الموشية - ١٥٠.

(٢) سورة الأنفال رقم الآية (٦٠).

(٣) تفسير الطبري - تفسير سورة الأنفال.

ومن خلال سيرة الغزوات النبوية والقادة الفاتحين في تاريخ أمة الإسلام نجد استعمال الحصون كوسيلة من وسائل الحروب والقتال^(١).

إن مبدأ الحصانة العسكرية من التنظيمات في عقيدة ابن تومرت العسكرية يتأكد أهميته لوجود أعداد متربصين بدعوته، وكذلك أن دولة الموحدين ستقيم دولتها على أساس القضاء على دولة المرابطين، ولهذا لزم الأخذ بمعتقد التحصين في التنظيم العسكري عند الموحدين.

ويبدأ البناء التنفيذي للحصون عند الموحدين باختيار ابن تومرت موقع تينمل، وهو موقع حصين، قال عنه المؤرخون: (لا يعلم مكاناً أحصن من تينمل لأنها بين جبلين، ولا يصل إليهما إلا الفارس، وربما نزل عن فرسه في أماكن صعبة، وفي مواضع يعثر على خشبة، فإذا أزيلت الخشبة، انقطع الدرب، وهي مسافة يوم)^(٢).

لقد عرفت (البربر) الذين هم أصل دولة الموحدين، بسكنى المناطق الجبلية، يقول ياقوت الحموي: البربر: (هو اسم يشتمل قبائل كثيرة في جبال المغرب)^(٣).

لقد اختار ابن تومرت هذا الموقع بناء على أمرين:

-
- (١) انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام - ٢٤٦/٣. والرسول ﷺ القائد - محمود شيت خطاب - ١٥٥.
 - (٢) سير أعلام النبلاء - الذهبي - ٥٣٩/١٩. وانظر: كتاب الجغرافيا - ابن سعيد المغربي - ٢٦/١.
 - (٣) معجم البلدان - ياقوت الحموي - (باب الباء والراء وما يليها) - ٢٩٢/٢.

الأمر الأول: وصية من الفقيه عبد الحق بن إبراهيم المصمودي الذي سافر ابن تومرت في جماعته إليه، فأنزلهم فبث ابن تومرت إليه سره، وما اتفق له، فقال الفقيه: هذا الموضوع لا يحميمكم، وإن أحصن الأماكن المجاورة لهذا البلد، تينمل، وهو مسيرة يوم في هذا الجبل، فانقطعوا فيه مدة ريثما ينسى ذكركم^(١).

الأمر الثاني: يذكر الإخباريون أنه أطلع على هذا الاسم في كتاب الجفر^(٢).

ومع ما ذكره الإخباريون عن تميز تينمل بالحصانة، إلا أن بن تومرت أكد على ضرورة التحصين فبعد تقسيم أرضها وديارها على أصحابه، أدار على المدينة سوراً أحاط بها من كل جانب، وبني على رأس الجبال سوراً، وأُفرد في قمته حصناً يكتشف على ما وراء الجبل^(٣). كما بنى على أعلى قمة في منطقة تينمل برجاً يقال له برج (نينطان) وجعل فيه طيلاً، وكان يمسك الطبل) رجل مخصص لذلك^(٤).

ولما كان المرابطون أهل صحراء والموحدون أهل جبال، فلم يحاول (الموحدون ملاقات المرابطين في معركة مكشوفة وجهاً لوجه،

(١) طبقات الشافعية الكبرى - ابن هداية الله المصنف. وانظر: تاريخ الإسلام - الذهبي.

(٢) أخبار المهدي - الصنهاجي (البيدق) - ٣٣.

(٣) الحلل الموشية - ١١٢.

(٤) أخبار المهدي - الصنهاجي (البيدق) - ٤١ - ونينطان: العسة باللغة البربرية، وبرج نيطان هو المحروس في الإستطلاع العسكري المغربي القديم) من حاشية رقم (٦٩).

ولربما كانت موقعة البحيرة والتي فيها أغلب الجيش الموحددي الغازري، أكبر درس جعل الموحددين يجمعون عن مثل تلك المغامرة بالنزول من مراكزهم والإيغال بعيداً عن أرضهم^(١).

فتحصن الموحدون في الحصون الجبلية التي كانت من أقوى عوامل انتصاراتهم على المرابطين، وبعد موت ابن تومرت وبعد أن صارت حصون (الفلاكي) للموحدّين، بدأت جيوش الموحدّين تكثّر من الإغارة على نواحي السوس، وأغمات^(٢) فكان الموحدون يسبّرون في الجبال المنيعّة حيث الأرزاق الواسعة، وكان تاشفين بن علي ينزل البساتن بعساكره، فلا يجد من البرابرة من يواصله، ولا من يستعين به، ويدخله، وذلك بسبب الإدبار وانقطاع الدولة والأنصار^(٣).

ولم يستمر التنظيم العسكري عند الموحدّين في عدم ملاقات المرابطين إلا بعد سقوط مدينة وهران ووفاة الأمير تاشفين بن علي سنة ٥٣٩هـ، حيث تغير الوضع الحربي بالنسبة للموحدّين، وتركوا منطقة الجبال ونزلوا من أوكارهم إلى السهول والمدن الكبرى، وأخذوا يضربون الضربات الأخيرة في جسم الدولة المحتضرة^(٤).

(١) انظر: قيام دولة الموحدّين - مراجع عقيلة الغنای - ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء - الذهبي - ٣٦٩/٢٠. وانظر: تاريخ الإسلام - الذهبي - ٣٩٠/٨.

(٣) الحلل الموشية - ١٣٠. وانظر: الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ٢٩٩/٨.

(٤) قيام دولة الموحدّين مراجع عقيلة الغنای - ٢٩٨.

ويذكر المؤرخون في حروب الموحدين تنفيذ معتقد التحصين في حروب الأندلس، فلما أراد الموحدون فتح قرطبة (تسّموا في الجبل من أعلاه الذي على وادي شنيل المتصل بجبل السبكة والقصبية الحمراء، ومشوا طول لينتهم على تودة في الجبل المذكور على شواهقه وأحجاره)^(١).

ولعظيم فوائد الحصون في الحرروب، فقد نظمها الخليفة عبد المؤمن، فمن ذلك (أنه أمر ببناء مدينة كبرى بجبل طارق، المفتوح منه دانيها وقاصيها وطائعها وعاصيها، تكون هذه المدينة منزلاً للأمر عند إجازة العساكر المنصورة)^(٢).

وقد ورث الموحدون عن المرابطين العديد من الحصون في مختلف أنحاء المغرب، وآل الكثير منها إليهم في حالة جيدة فقاموا باحتلالها، وتزويدها بما تحتاجه الجنود من الأسلحة والمؤمن، وأصلحوا منها ما يحتاج إلى إصلاح وأحكموه^(٣).

٦- الحصار العسكري:

من التنظيمات العسكرية (حصار العدو) وقد مارس النبي ﷺ مبدأ الحصار في بعض الغزوات، كما أخبر الله تعالى في كتابه عن حصار الرسول ﷺ ليهود بني النضير فقال {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) المن بالإمامة-ابن صاحب الصلاة-١٣٣.

(٢) المن بالإمامة-ابن صاحب الصلاة-٨٤.

(٣) انظر: النظم الحربية في دولة الموحدين بالمغرب والأندلس-حمد السحبياتي-

مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا
أَنْهُمْ مَبْعُوثَةٌ خَصُّونَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَنَادَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا
أُولِي الْأَبْصَارِ^(١) وَحَاصِرُ^(٢) يَهُودِ بَنِي قَيْنِقَاعَ (فَحَاصِرُهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ
لَيْلَةً، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ غَدَرَ مِنَ الْيَهُودِ وَحَارِبُوا وَتَحَصَّنُوا فِي حِصْنِهِمْ
فَحَاصِرُهُمْ أَشَدَّ الْحِصَارِ)^(٣).

كما حاصر النبي ﷺ أهل الطائف، فلما مضت خمس عشرة من
حصار الطائف استشار النبي ﷺ نوفل بن معاوية فقال: يا نوفل ما ترى
في المقام عليهم؟ قال: يا رسول الله تغلب في حجر إن أقمت عليه
أخذته وإن تركته لم يضرك^(٣).

وضمن العقيدة العسكرية في جانب التنظيمات العسكرية عند
ابن تومرت، ضرب الحصار على المدن والجيوش، وقد مارس جيوش
الموحدين هذا المبدأ في حروبهم مع المرابطين وغيرهم، وكذلك مع
المخالفين لهم.

فمن أمثلة الحصار في جيش الموحدين: حصار عاصمة
المرابطين عدة مرات، وكان أولها أن ابن تومرت جهز جيشاً كثيفاً
يبلغون أربعين ألفاً فنزلوا إلى العاصمة فحاصروها، وضيقوا عليها،

(١) سورة الحشر رقم الآية (٢).

(٢) الطبقات الكبرى - ابن سعد - ٣/٧ - دار الكتب العلمية - تاريخ الطباعة ١٩٩٧ م

(٣) كتاب المغازي - الواقدي - ٣/٢٧٧ - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الثالثة -

وبها أمير المسلمين علي بن يوسف، فبقي الحصار عليها عشرين يوماً^(١).

والحصار الآخر كان على يد الخليفة عبدالمؤمن فبعد أن فتح أغلب المدن، ضرب الحصار على عاصمة المرابطين سنة ٥٤١هـ، وأقام عليها أحد عشر شهراً، واشتد عليهم البلاء، وفنيت أقواتهم، وأكلوا دوابهم، ومات من العامة بالجوع، فأنقذ البلد من ريح الموتى^(٢).

وقد يطول الحصار وذلك بسبب قوة المحاصرين (أهل البلاد)، فمن ذلك حصار عبدالمؤمن لمدينة تلمسان حيث دام الحصار نحو سنة^(٣).

وفي الحصار العسكري استخدم الموحدون الأسطول البحري كما في حصار (المهدية) حيث أن الحصار (لا يؤثر فيها لحصانتها وقوة سورها وضيق موقع القتال عليها، لأن البحر دائر بأكثرها، فأمر عبدالمؤمن أن يبني سوراً من غرب المدينة يمنعهم من الخروج، وأحاط الأسطول بها في البحر^(٤).

وبالإضافة إلى استخدام الأسطول البحري وبناء الأسوار في الحصار، استخدم الموحدون حفر الخنادق، كما في حصار مدينة

-
- ١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ٢٩٨/٨.
 - ٢) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ٣٠٠/٨. وانظر: الحلل الموشية - ١١٣-١١٤
 - ٣) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ٣٠٠/٨.
 - ٤) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ١٤/٩.

مكناسة، حيث بنوا عليها سوراً، وحفروا أمامه حفيراً، فكان أهلها في سجن لا يقدرّون على الخروج منها^(١).

ومن التدابير العسكرية في الحصار عند الخليفة عبدالمؤمن، الاستفادة من الموقع الجغرافي للمنطقة المحاصرة، فبعد أن أشد الحصار على مدينة فاس قطع عنها النهر الداخل إليها بالألواح والخشب والبناء، حتى انحصر الماء فوقها في الوطأ، فوصل إلى مركزه، ثم خرّقه فهبط الماء عليهم دفعة واحدة، فهدم سورها وهدم من دورها ما يزيد على ألفي دار، وهلك به خلق كثير، وكاد الماء أن يأتي على أكثرها، فدخل عبدالمؤمن مدينة فاس^(٢).

(٧) الاستعراض العسكري:

عرض القوة العسكرية في ميدان عام وأمام القادة، من العقائد التنظيمية العسكرية عند ابن تومرت، ويكاد يتفق كتاب التاريخ بالضبط والربط العسكري عند الموحدين، ومن أبرز ما يحقق الانضباط العسكري عرض القوة.

(١) الحلل الموشية-١٣٦.

(٢) الأنيس المطرب -علي بن أبي زرع الفاسي-٢٤٣- وانظر: الحلل الموشية-١٣٦. والكامل في التاريخ-ابن الأثير-٣٠٠/٨. ومدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين-جمال طه-٩٩.

ومن تدبر قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، نجد منهم من يستعرض قوائمه، فمثال ذلك نبي الله سليمان عليه السلام، قال تعالى {وَوَحِّشِرَ اسْتَلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (١).

ومعنى تفسير هذه الآية كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: [جعل على كل صنف من يردُّ أولاهها على أخراها لئلا يتقدموا في المسير كما تصنع الملوكة] (٢).

وقد كان الاستعراض العسكري من منهج الرسول عليه السلام في الفتوحات والحروب، وفعله عليه السلام أثناء فتح مكة، وقال للعباس: (احبس أبا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر إلى المسلمين) فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي عليه السلام تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان.. (٣).

لقد كان العرض العسكري ضمن العقائد العسكرية في التنظيم العسكري عند ابن تومرت، ففي بدايات الحروب مع المرابطين جهز ابن تومرت جيشاً عظيماً من المصامدة، وتم استعراضهم أمامه وأمرهم بمحاربة المرابطين (٤).

لقد نظم ابن تومرت ترتيب الجيوش أثناء التحرك العسكري، وأن ينادي منادي أثناء الركوب (الاستخارة بالله والتوكل عليه) وإذا تحركوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيضاً مع عدد من الرجال يكون بينه

(١) سورة النمل الآية رقم (١٧).

(٢) تفسير الطبري - ٢٥/١٧. وانظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢٦٣٦/٥.

(٣) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب أين ركز النبي عليه السلام الراية - رقم (٣٩٤٤)

(٤) المعجب - المراكشي - ٦٣.

وبين الأمير مقدار ربع ميل، ويكون الأمير مقدماً على الناس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به يحفون به، ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر المعروفون بالسابقة، ثم كل قبيلة على ترتيبها وحسن هيئة معه علاماته... وأوصاهم في سفرهم إذا مروا على طريق متصل بها زرع نكبوا عنه ودرأوا أهل الفساد عنه^(١).

وبتطور جيش الموحدين على يد الخليفة عبد المؤمن، والاستفادة من نظم وقادة البلاد المفتوحة وبخاصة بلاد الأندلس، كان العرض العسكري قبل الحروب من أساسيات التنظيم، وأثناء العرض العسكري، يقسم الخليفة العسكر على أربعة عساكر، لكل عسكر يوم يختص به ماء ينزل عليه، فإذا كان وقت النزول، نزلت كل قبيلة في منزلها، وعلى ترتيبها، لا يتعدى أحد طوره، لهم رتب معلومة، قيدها الحد، وحماها الخوف، وفي محله جميع الصناعات وكل ما يحتاج إليه المسافر معهم^(٢).

وكان الخليفة عبد المؤمن دائم الاستعراض لجيشه، وقد أمر بعرض العسكر آخذي أسلحتهم، وجلس في مكان مطل، وجعلت العسكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة إثر كتيبة، لا تمر كتيبة إلا والتي بعدها أحسن منها، جودة سلاح وفراسة خيل وظهور قوة، وسره ذلك^(٣).

ويبدو من تأمل هذه النظم الصارمة، ومن المشاهدة على التمارين الحربية، أن عبد المؤمن كان في جميع مشاريعه العسكرية يعني

(١) نظم الجمان - ابن القطان - ١٦٨. وانظر: الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ١٣/٩.

(٢) الحلال الموشية - ١٥٢.

(٣) المعجب - المر اكشي - ٧٦.

عناية خاصة باختيار فنون العرب، وقد استطاع بتلكه أن ينشئ نظاماً جديدة في منتهى البساطة، ولكنها جملة الفوائد، وأن توجه فن الحرب، بما وضعه من ترتيبات صارمة للجيش، وجهة جديدة، وكان من رأيه أيضاً أن قيمة الجيش ليست في عدده، وإنما هي قبل كل شيء في مقدراته وفائدته^(١).

تميزت جيوش الموحدين بسلازم المعتقدات بالتطبيقات العسكرية، فكانوا (إذا سألوا) لا يزال القرآن يقرأ بين أيديهم بالغلو والعشى ركناً وإذا نزلوا، فأول شيء يصنعونه في أول النهار بعد صلاتهم الفجر أن يخرج من ينادي الاستعانة بالله والتوكل عليه، هذه عندهم للركوب، فحينئذ يركب الناس، ويخرج الخليفة من خيمته ركياً، وأحيان القراية وأنشاح الموحدين بين يديه مشاة خطوات كبيرة، ثم يأمرهم بالركوب، فإذا ركبوا وقف وبسط يديه ودعا، فإذا فرغ الدعاء افتتح القراءة طلبية الموحدين خلفه، فيقرعون حزياً من القرآن في نهاية الترتيل وهم سائرون سيرا رفيقاً، ثم شيئاً من الحديث، ثم يقرؤون تواليف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي، فلا يزال هذا دأبهم في جميع سفرهم كله^(٢).

ولا يقتصر العرض العسكري عند الموحدين فقط في الحروب، ولكن من عقائدهم العسكرية أن المرض يجب أن يعمل حينما يقدم من له وجاهة عند الخليفة فيبرز الخليفة بنفسه للقائه ويكسي العبيد بالثياب

(١) تاريخ الأندلس - يوسف أنشاح - ٥٦/٢.

(٢) المعجب في تالخيص أخبار المغرب - المر الكشي - ٢٥٦.

عناية خاصة باختيار فنون العرب، وقد استطاع بتكائه أن يفتش نظاماً جديدة في منتهى البساطة، ولكنها حمة اللؤلؤ، وأن يوجه فن الحرب، بما وضعه من ترتيبات صرامة للجيش، وجهة جديدة، وكان من رايه دائماً أن قيمة الجيش ليست في عدده، وإنما هي قبل كل شيء، في مقدراته وفائدته^(١).

تميزت جيوش الموحدين بسلازم المعتقدات بالتطهيرات العسكرية، فكانوا (إذا سافروا لا يزال القرآن يقرأ بين أيديهم بالعصر والعشي ركباناً وإذا نزلوا، فأول شيء يصنعونه في أول النهل بعد صلاتهم الفجر أن يخرج من يتلوي الاستغالة بالله والتوكل عليه، وهذه عندهم للركوب، فحينئذ يركب الناس، ويخرج الخليفة من خيمته ركاه، وأعيان القرابة وأشياخ الموحدين بين يديه مشاة خطوات كبيرة، ثم يأمرهم بالركوب، فإذا ركبوا وقف وبسط يديه ودعا، فإذا فرغ الدعاء افتتح القراءة طلبية الموحدين خلفه، فيقرءون حزباً من القرآن في نهاية الترتيل وهم سائرون سيرا رفيقاً، ثم شيئاً من الحديث، ثم يقرءون تواليف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي، فلا يزال هذا دأبهم في جميع سفرهم كله^(٢).

ولا يقتصر العرض العسكري عند الموحدين فقط في الحرب، ولكن من عقائدهم العسكرية أن العرض يجب أن يعمل حينما يقدم من له وجاهة عند الخليفة فيبرز الخليفة بنفسه للقاء ويكفي العيد بالتساب

(١) تاريخ الأندلس - يوسف الشياخ - ٥١٦/٢.

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب - المر الكشي - ٢٥١.

المصنعة الألوان، ويصفف الفرسان الكمل المدرعين من الموحدين وغيرهم، والرجال بالدروع والرماح صفوفاً، وجعل الرايات والعلامات خلف ركابه، والطبالين مع خاصة أصحابه^(١).

٨) البريد العسكري:

اقتضت عوامل بناء دولة الموحدين استخدام البريد، ونقل أخبار القادة وأمراء الجيوش، وقد عرف التاريخ الإسلامي مهمة صاحب البريد، ونقله للأخبار بين الخليفة والأمراء والقضاة وأعيان الدولة، وبين الأمراء وعامة الناس، وقد كتب الخليفة الأمين إلى أخيه المأمون يطلب منه أن يكون له عنده صاحب البريد يكاتبه بالأخبار^(٢).

لقد نال صاحب البريد في تنظيمات الموحدين اهتماماً بالغاً، فقد نظموا البريد بشكل متقن وسريع، وفي الليل والنهار وفي البر والبحر، وكانت وظيفة حمل الرسائل تسند لرجال أقوياء مدربين على الركض والعدو وكان فيهم الرقاص العادي، ورقاص الشرط، وهو ساعي البريد المستعجل ينقله بين المدن على الخيل بمنتهى السرعة، وكان يجد في كل محطة حصاناً مسرجاً يمتطيه إلى المحطة التي تليها^(٣).

ولأهمية اختيار صاحب البريد، أمر الخليفة عبدالمؤمن أعيان دولته بأن: (يتخيروا لرسائلهم إرسالاً، وينتقوا من أهل المقدره على

(١) المن بالإمامة- ابن صاحب الصلاة- ٢١٣.

(٢) الكامل في التاريخ- ابن الأثير- ١٣٩/٥.

(٣) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس- حسن علي حسن- ١٥٠ وانظر: المن بالإمامة- ابن صاحب الصلاة- ٦٤ و ١٢٩ (حاشية).

ذلك والثقة رجالاً ويدفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في المجيء والانصراف ويقطع شأنهم في التكليف والإلحاق، ويرسموا لهم أياماً معروفة العدد، معلومة الأمد لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ويوزعها على مسافات مراحلهم. وحذرهم من تكليف أحد الناس ولو مثقال ذرة^(١).

لقد استخدم الأسطول البحري في دولة الموحدين، نقل الرسائل، حيث تم نقل رسالة من الخليفة عبدالمؤمن في سنة ٥٥٥هـ إلى ابنه يوسف بن عبدالمؤمن بالأندلس يخبره بانتصاراته الحربية، حيث (ركب الرقاص - حامل البريد بلغة أهل المغرب -الجواب المذكور مركباً من مدينة بجاية سابقاً في البحر في طريق غير يبس، ويسر الله له أن ساعدته الريح بنفس، ووصل أشبيلية وغرناطة في أقرب تاريخ)^(٢).

لقد حوت كتب تاريخ خلفاء دولة الموحدين عدداً من الرسائل البريدية، وصدر كتاب بهذا مسماه (رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية) تحتوي على سبعة وثلاثين رسالة مهمة، صادرة من خلفاء الدولة ومرسلة إلى الأمراء وطلبة الموحدين والشيوخ والوجهاء وقادة الجيوش، ومن أبرز ما تتضمن هذه الرسائل، ما يلي:

أ- التأكيد على طاعة (المهدي) وعدم الخروج على توجيهاته.

ب- التهئة بالانتصار وفتح البلدان.

(١) نظم الجمان - ابن قطان - ١٥١.

(٢) المن بالإمامة - ابن صاحب الصلاة - ٢٣٣. (بتصرف يسير)

ج- التمركز السريع للقضاء على المتمردين والخارجين عن

الأوامر.

د- التقرير المفصل عن مسيرة الجيش إلى أرض المعركة

ووقائعها.

ه- إعلان البيعة وتجديد العهد.

و- مكاتبة أهل الثغور لرفع عزائمهم.

ز- أوامر الخليفة والتوجيهات الشرعية بالنقوى و العدل

بين الرعية^(١).

(٩) المباغثة والكمائن:

لجأ الموحدون في حروبهم إلى تنظيم حربي، يقوم على المخادعة والتليس على الخصم، وهو ما يسمى بـ(الكمين)^(٢)، ويعتبر ابن تومرت أول من طبق مبدأ الكمائن لتحقيق دعوته، والقضاء على المخالفين، فقد قال ابن تيمية: (صار يجيء إلى المقابر يدفن بها أقواما ويواطئهم على أن يكلموه إذا دعاهم ويشهدوا له بما طلبه منهم مثل أن يشهدوا له بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ وسلم الذي يواطئ اسمه اسمه واسم أبيه اسم أبيه. وأنه الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما. وأن من اتبعه أفلح ومن خالفه خسر.

(١) رسائل موحدية- ليفي بروفنسال-المقدمة. وانظر: المن بالإمامة-ابن صاحب الصلاة-٢٢٥.

(٢) انظر: لسان العرب-ابن منظور-(كمّن).

فإذا اعتقد أولئك البربر أن الموتى يكلمونه ويشهدون له بذلك عظم
اعتقادهم فيه وطاعتهم لأمره، ثم إن أولئك المقبورين يهدم عليهم القبور
ليموتوا ولا يظهر أمره. وقد ذكر عنه أهل المغرب وأهل المشرق
الذين ذكروا أخباره من هذه الحكايات أنواعاً. وهي مشهورة عند من
يعرف حاله عنه^(١).

لقد تعددت أساليب الكمائن في العقيدة العسكرية عند ابن تومرت
وتطبيقات الخليفة عبدالمؤمن لها، فمن أساليبهم:

أ- التورية^(٢) وإخفاء جهة المسير: من الكمائن العسكرية عند
عبدالمؤمن أنه كان يخفي وجهة مسير الجيش، فلا يعلم بوجهته
للحرب إلا مجموعة قليلة من القادة العسكريين، وبهذه المباغثة لا
يعطي للخصم فرصة الاستعداد للمقاومة، ومن أمثلة على ذلك:
لما أورد الخليفة عبدالمؤمن أن يفتح بجايه، (نادى مناديه في
المحلة: أيها الناس من تكلم منكم بكلام معناه، إلى أين هذا السفر،
فجزأوه السيف، ثم تحرك إلى بجاية، مستعجلاً في الرحيل، فما
شعر صاحب بجاية حتى وصله)^(٣).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-٤٧٦/١١.
(٢) التورية: السُّرُّ. يُقال منه: ورَّيت الخبر أوريه تورية، إذا سترته وأظهرت
غيره. انظر: تهذيب اللغة-الأزهري- باب اللقيف من حرف الراء. وقال كعب
أن النبي ﷺ (كان إذا أُرَاد غزوة ورى غيرها) أي سترها بغيرها وأظهر أنه
يريد غيرها

(٣) الأنيس المطرب-بن أبي زرع-٢٥٠. وانظر: الحلال الموشية -١٤٩. والكامل
التاريخ-ابن الأثير-٣٠/٩.

ب- مخدعة العدو بالانهزام: ومن أمثلة ذلك أثناء محاصرة الخليفة
عبدالمؤمن لمدينة مراکش، فيقول ابن الأثير: (رحف إليهم
عبدالمؤمن يوماً، وجعل لهم كميناً، وقال لهم: إذا سمعتم صوت
الطبل فاخرجوا، وجلس هو بأعلى المنطرة التي بناها بشاهد
القتال، وتقدم عسكريه، وقاتلوا، وصبروا، ثم إنهم انهزموا لأهل
مراكش ليتبعوهم إلى الكمين الذي لهم، فتبعهم الملتصقون
(المرابطون) إلى أن وصلوا إلى مدينة عبدالمؤمن، فهجموا أكثر
سورها، وصاحت المصامدة بعبدالمؤمن ليأمر بضرب الطبل
ليخرج الكمين، فقال لهم: اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد،
فلما خرج أكثر أهلها، أمر بالطبل فضرب وخرج الكمين عليهم،
ورجع المصامدة المنهزمون إلى المنتمين (المرابطين) فقتلهم
كيف شاءوا، وعانت الهزيمة على المنتمين (المرابطين)^(١).

ج- حفر الخنادق: استخدم هذا الكمين في فتح مدينة المرية، فقد كلف
الخليفة ابنه الأمير عثمان والمكي بـ(أبي سعيد) لفتح لمدينة
المرية، فلما نازلها حصروا براً وبحراً، وبنى أبو سعيد سوراً
على الجبل وعمل عليه خندقاً، فصارَت المدينة والحصن الذي
فيه الفرج محصورين بهذا السور والخندق، ولا يمكن أن يصل
إليهما من ينجدهما. وتمادى الحصار على المرية ثلاثة أشهر.

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ٢٠٠/٨.

وقلت الأقوات على الفرنج، فطلبوا الأمان ليسلموا الحصن،
فأجابهم أبو سعيد إليه وأمنهم، وتسلم الحصن^(١).

د- التربيع في الحروب: خاض الموحدون معاركهم العديدة في
المغرب والأندلس بطرق متعددة وفقاً لما يلائم ظروف العدو
وميدان المعركة، وقد كان عبدالمؤمن بن علي أول من استعمل
طريقة التعبئة الرباعية للجيش^(٢).

ويصف أحد جنود الموحدين أثناء فتح مراكش هذه الطريقة،
فيقول: (صنعنا دارة مربعة في البسيط، جعلنا فيها من جهاتها الأربع
صفاً من الرجال بأيديهم القنا الطوال، والطوارق المانعة، ووراءهم
أصحاب الدرق والحراب صفاً ثانياً من ورائهم، ووراءهم أصحاب
المخالي فيها الحجارة، ووراءهم الرماة بقوس الرجل، وفي وسط
المربعة الخيل، فكانت خيل المرابطين إذا دفعت إليهم لا تجد إلا الرماح
الطوال الشارعة، والحراب والحجارة والسهام الناشرة^(٣)).

(١) الكامل في التاريخ-ابن الأثير-٥٥/٩.

(٢) انظر: النظم الحربية في دولة الموحدين-حمد السحبياني-٢٣٧.

(٣) الحلل الموشية-١٣٢.

أبرز نتائج البحث:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وبعد: فإني أحاول في ختام هذا البحث أن أبرز أهم النتائج التي بدت لي خلال إعدادي له، وهي كما يلي:

١. أن ابن تومرت كون دولة ذات فلسفة عقائدية متناقضة الاتجاهات والأفكار. وأسس قاعدة شعبية لدعوته، وسلك في سبيل هذا الأمر جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة.
٢. أن الجيوش المقاتلة من أهم ما يؤصل ثوابتها، ويكبح عدوانها أن تربي التربية الشرعية الصحيحة، والمستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهدى السلف الصالح.
٣. كان من نتائج الآثار السلبية من عقيدة ابن تومرت العسكرية على الأمة الإسلامية في عصره، توقف الجهاد في دولة المرابطين ونشر الإسلام، وبإسقاط دولة المرابطين انقطعت الدعوة بالمغرب للخلافة العباسية.
٤. من أبرز أسباب التفوق العسكري عند عقيدة ابن تومرت العسكرية، العناية بالعسكريين علمياً وعملياً، وتربيتهم على الحوادث بعد تأهيلهم علمياً. وألا يتولى قيادة الجيش إلا من تلقن المعارف والعلوم.
٥. أتقن القائد الميداني للمعتقد التومرتي الخليفة عبدالمؤمن، تجهيز جيشه وتحصينه، بما يتلائم مع واقع حروبه وغزواته.
٦. إن مما يجب أن تعرض النماذج العسكرية في تاريخنا الإسلامي، وتدرس دراسة تحليلية، وأن يطلع قادة الجيوش في البلاد الإسلامية والعربية عليها، لتكون منهجاً لهم في حياتهم العسكرية.

فهرس المراجع

١. الإحاطة في أخبار غرناطة - لسان الدين ابن الخطيب - تحقيق محمد عبد الله عنان - ١٩٧٣م
٢. الاستراتيجية السياسية والعسكرية - العماد مصطفى طلاس - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق - ط١ - ١٩٩١.
٣. أضواء البيان - الشنقيطي - دار عالم الكتب - بيروت
٤. أعز ما يطلب - ابن تومرت - المطبعة الشرقية - الجزائر - ١٩٠٣م.
٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية - تحقيق ناصر العقل - مكتبة الرشد - الرياض - ط١ - ١٤٠٤هـ
٦. الإنصاف - المرذآوي - تحقيق محمد الفقي - إحياء التراث العربي - ط٢ - ١٤٠٦هـ
٧. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - علي بن أبي زرع الفاسي - المطبعة الملكية - الرباط - الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ
٨. أهل السنة والجماعة - عبد الله بن عبد الحميد الأثري - مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - الطبعة الأولى - طباعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ١٤٢٢هـ.
٩. البداية والنهاية - ابن كثير - مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية - دار هجر - الجيزة - ط١ - ١٤١٩هـ

فهرس المراجع

١. الإحاطة في أخبار غرناطة - لسان الدين ابن الخطيب - تحقيق محمد عبد الله عنان - ١٩٧٣م

٢. الاستراتيجية السياسية والعسكرية - العماد مصطفى طلاس - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق - ط١ - ١٩٩١.

٣. أضواء البيان - الشنقيطي - دار عالم الكتب - بيروت

٤. أعز ما يطلب - ابن تومرت - المطبعة الشرقية - الجزائر - ١٩٠٣م.

٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية - تحقيق ناصر العقل - مكتبة الرشد - الرياض - ط١ - ١٤٠٤هـ

٦. الإنصاف - المرذآوي - تحقيق محمد الفقي - إحياء التراث العربي - ط٢ - ١٤٠٦هـ

٧. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - علي بن أبي زرع الفاسي - المطبعة الملكية - الرباط - الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ

٨. أهل السنة والجماعة - عبد الله بن عبد الحميد الأثري - مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - الطبعة الأولى - طباعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ١٤٢٢هـ.

٩. البداية والنهاية - ابن كثير - مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية - دار هجر - الجيزة - ط١ - ١٤١٩هـ

١٠. تاريخ ابن خلدون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ -
١٤١٣هـ

١١. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين - يوسف أشياخ -
مكتبة الخانجي - القاهرة - ط ٢ - ١٤١٧هـ

١٢. تطور العقائد والاستراتيجيات العسكرية - اللواء الطيار اليربوع -
عبدالرحمن بن حسن الشهري - مكتبة العبيكان - الرياض - الطبعة
الأولى - ١٤٢٤هـ

١٣. تفسير الطبري - مركز البحوث والدراسات العربية
والإسلامية - دار هجر - القاهرة - ط ١ - ١٤٢٢هـ

١٤. تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - مطبعة الشعب - القاهرة

١٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - ابن عبد البر - مكتبة
السوادي للتوزيع

١٦. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي -
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد -
الرياض - ١٤٠٤هـ

١٧. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي - تحقيق
عبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى:
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

١٨. جامع الرسائل - ابن تيمية - دار المدني - جدة - الطبعة الثانية -
١٤٠٥هـ

١٩. جامع الرسائل-ابن تيمية-دار الفكر.
٢٠. جامع العلوم والحكم-ابن رجب الحنلي-مصطفى البابي
الخطي-مصر-١٣٨٢هـ.
٢١. الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-دار الكتب المصرية-ط:٢-
١٣٧٢هـ.
٢٢. الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس-حسن علي حسن-
مكتبة الخانجي-القاهرة-الطبعة الأولى-١٩٨٠م
٢٣. الحلل الموشية-دار الرشاد الحديثة-الدار البيضاء-ط:١-
١٣٩٩هـ.
٢٤. الدرر السنية في الأجوبة النجدية-جمع عبدالرحمن بن قاسم-
ط:٦-١٤١٧هـ.
٢٥. الرحيق المختوم-المبارك فوري-أولي النهي للإنتاج الإعلامي-
١٤٢٢هـ
٢٦. الرسول ﷺ القائد-محمود شيت خطاب-دار مكتبة الحياة-
بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-١٩٦٠م
٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-محمود
الألوسي-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان-ط:٤-١٤٠٥هـ
٢٨. الروض الأنف-السهيلي-تحقيق وتعليق عبدالرحمن الوكيل.

٢٩. روضة الطالبين وعدة المغنين - النووي - الكتب العلمية -
بيروت - لبنان - ١٤٢٣هـ -

٣٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة - الألباني - مكتبة المعارف - الرياض -
ط: ٢ - ١٤٠٨هـ -

٣١. سنن ابن ماجه - دار إحياء التراث العربي - ترقيم العالمية

٣٢. سنن أبي داود - المكتبة العصرية - بيروت - ترقيم العالمية

٣٣. سنن الترمذي - دار الكتب العلمية - ترقيم العالمية.

٣٤. السنن الكبرى - البيهقي - المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند -
ط: ١ - ١٣٥٦هـ -

٣٥. سير أعلام النبلاء - الذهبي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط: ١ -
١٤٠٩هـ -

٣٦. سيرة ابن هشام - رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة
والإرشاد - السعودية

٣٧. السيرة النبوية - ابن كثير - دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة -
ط: ٢ - ١٤٠٩هـ -

٣٨. شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي - تحقيق الألباني -
المكتب الإسلامي - ط: ٤ - ١٣٩١هـ -

٣٩. شرح صحيح مسلم - النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٠. صحيح البخاري - دار القلم - بيروت - ١٩٨٧م - ترقيم العالمية

٢٩. روضة الطالبين وعمدة المفتين - النووي - الكتب العلمية -
بيروت - لبنان - ١٤٢٣هـ -

٣٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة - الألباني - مكتبة المعارف - الرياض -
ط: ٢ - ١٤٠٨هـ -

٣١. سنن ابن ماجه - دار إحياء التراث العربي - ترقيم العالمية

٣٢. سنن أبي داوود - المكتبة العصرية - بيروت - ترقيم العالمية

٣٣. سنن الترمذي - دار الكتب العلمية - ترقيم العالمية.

٣٤. السنن الكبرى - البيهقي - المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند -
ط: ١ - ١٣٥٦هـ -

٣٥. سير أعلام النبلاء - الذهبي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط: ١ -
١٤٠٩هـ -

٣٦. سيرة ابن هشام - رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة
والإرشاد - السعودية

٣٧. السيرة النبوية - ابن كثير - دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة -
ط: ٢ - ١٤٠٩هـ -

٣٨. شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي - تحقيق الألباني -
المكتب الإسلامي - ط: ٤ - ١٣٩١هـ -

٣٩. شرح صحيح مسلم - النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت -

٤٠. صحيح البخاري - دار الفلم - بيروت - ١٩٨٧م - ترقيم العالمية

٤١. صحيح مسلم - دار إحياء التراث العربي - ١٩٥٤م - ترقيم العالمية.

٤٢. الطبقات الكبرى - ابن سعد - دار الكتب العلمية - تاريخ الطباعة ١٩٩٧م

٤٣. عبد الكريم قاسم في يومه الأخير - عقيل الناصري - دار الحصاد - سوريا - ط ١ - ٢٠٠٣م

٤٤. العبر في خبر من عبر - الذهبي - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ

٤٥. العسكرية الإسلامية - الرائد بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال يوسف الخلفان - ط ١ - الزرقاء مكتبة المنار ١٤٠١هـ.

٤٦. العسكرية العربية الإسلامية - اللواء الركن محمود شيت خطاب - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - ١٤٠٥هـ.

٤٧. العقيدة العسكرية - اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ - دار الاعتصام - القاهرة - ١٩٧٦م.

٤٨. علم النفس العسكرية - عبداللطيف حسين فرج وعز الدين جميل عطية - دار الشروق - جدة - الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٤٩. عيون الأثر - ابن سيد الناس - مكتبة التراث - المدينة النبوية - ط: ١ - ١٤١٣هـ

٥٠. عيون الأنباء في طبقات الأطباء - أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة - دار الفكر - بيروت - ١٣٨٦هـ.

٥١. فتح الباري شرح صحيح البخاري-ابن حجر-المكتبة السلفية-
القاهرة-الطبعة الرابعة-١٤٠٨هـ-
٥٢. الفكر العسكري ونظريات الحرب-بسام العسلي- العدد الأول
١٩٩٧م
٥٣. في ظلال القرآن-سيد قطب-دار العلم للطباعة والنشر-جدة-
ط:١٢-١٤٠٦هـ-
٥٤. قاموس (dod) للمصطلحات العسكريّة.
٥٥. قاموس أطلس الموسوعي (إنجليزي-عربي) doctrine
٥٦. قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي-عبدالكريم غلاب-دار
الغرب الإسلامي-بيروت-الطبعة الأولى-١٤٢٦هـ-
٥٧. قيام دولة الموحدين-مراجع عقيلة الغناى- جامعة قاريونس-
بنغازي-١٩٧-الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٥٨. الكامل في التاريخ-ابن الأثير-دار الكتب العلمية-بيروت-
الطبعة الخامسة-١٤٠٥هـ-
٥٩. كتاب الإمامة-ابن تومرت.
٦٠. كتاب التعريفات-علي الجرجاني-مكتبة لبنان-بيروت-١٩٨٥م.
٦١. كتاب الجغرافيا-أبو الحسن علي بن محمد-تحقيق إسماعيل
المغربي-الكتب التجاري-بيروت-١٩٧٠م.

٦٢. كتاب المغازي - الواقدي - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الثالثة -
١٤٠٤هـ

٦٣. لسان العرب - ابن منظور - (عقد).

٦٤. لمعة الاعتقاد - ابن قدامه - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط: ٢ - ١٤٢٠هـ

٦٥. المجلة المهنية للقوات الجوية الأمريكية - بالعربية - ٤٥ - صيف
٢٠٠٥.

٦٦. مجمع البحرين - فخر الدين الطريحي - (عقد).

٦٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - ط: ٢ - ١٤٠١هـ - مكتبة
المعارف - الرباط.

٦٨. مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنة - لاني
بروفانصال - مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية - رباط الفتح -
١٩٤١

٦٩. محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس - سعد
زغلول عبد الحميد - جامعة بيروت العربية - ١٩٧٣

٧٠. المختصر في أخبار البشر - عماد الدين إسماعيل بن محمد بن
عمر - المطبعة الحسينية المصرية - القاهرة - ١٣٢٥هـ

٧١. مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين - جمال أحمد
طه - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية - ط: ١ - ٢٠٠٢م.

٧٢. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان -
اليافعي - تحقيق عبدالله الجبوري - صدر منه الجزء الأول سنة
١٤٠٥ هـ - دمشق.

٧٣. مركز الدراسات السياسية في روسيا، ١٥ مايو، ٢٠٠٠.

٧٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل - دار الفكر العربي.

٧٥. المعجب في تلخيص أخبار المغرب - المراكشي - طبعة محمد
سعيد العريان سنة ١٩٦٣ م

٧٦. المعجب في تلخيص أخبار المغرب - عبدالواحد بن علي
المراكشي - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق
(١٩٧٨).

٧٧. معجم البلدان - ياقوت الحموي - دار صادر - بيروت - ١٩٨٦ م

٧٨. معجم المصطلحات العسكرية - (عقيدة).

٧٩. معرفة الصحابة - لأبي نعيم الأصبهاني - تحقيق عادل العزازي -
دار الوطن - الرياض - ١٤١٩ هـ.

٨٠. مقدمة ابن خلدون - الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية
للكتاب - الجزائر - ١٩٨٤ م.

٨١. المن بالإمامة - عبدالملك بن صاحب الصلاة - دار الغرب
الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٩٨٧ م.

٨٢. المنار المنيف في الصحيح والضعيف - ابن القيم - مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب - الطبعة الثانية - ١٤٠٣هـ.
٨٣. المنقى شرح الموطأ - الباجي - مطبعة السعادة - مصر - ط: ١ - ١٣٣٢هـ.
٨٤. المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب - عبدالمجيد النجار - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٨٥. المهدي - محمد أحمد إسماعيل المقدم - الدار العالمية - الإسكندرية - ط: ٤ - ١٤٢٥هـ.
٨٦. الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية - محماس بن عبدالله الجلعود - دار اليقين - المنصورة - ط: ١ - ١٤٠٧هـ.
٨٧. موسوعة السياسية - (عقيدة).
٨٨. موقع مقاتل من الصحراء - الملحق ب - خالد بن سلطان . www.moqatel.com
٨٩. موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية - الرباط - المغرب
٩٠. نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين - حسين مؤنس - مكتبة الثقافة الدينية - ط: ١ - ١٤٢٠هـ.
٩١. نظم الجمان في أخبار الزمان - ابن القطان - جامعة محمد الخامس - الرباط.

٨٢. المنار المنيف في الصحيح والضعيف - ابن القيم - مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب - الطبعة الثانية - ١٤٠٣ هـ.

٨٣. المنقى شرح الموطأ - الباجي - مطبعة السعادة - مصر - ط: ١ - ١٣٣٢ هـ

٨٤. المهدي بن تومرت حياته وآرؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب - عبدالمجيد النجار - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.

٨٥. المهدي - محمد إسماعيل المقدم - الدار العالمية - الإسكندرية - ط: ٤ - ١٤٢٥ هـ

٨٦. الموالاة والمعادة في الشريعة الإسلامية - محمّاس بن عبد الله الجلعود - دار اليقين - المنصورية - ط ١ - ١٤٠٧ هـ

٨٧. موسوعة السياسية - (عقيدة).

٨٨. موقع مقاتل من الصحراء - الملحق ب - خالد بن سلطان . www.moqatel.com

٨٩. موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية - الرباط - المغرب

٩٠. نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين - حسين مؤنس - مكتبة الثقافة الدينية - ط ١ - ١٤٢٠ هـ.

٩١. نظم الجمان في أخبار الزمان - ابن القطان - جامعة محمد الخامس - الرباط.

٩٢. النظم الحربية في دولة الموحدين - حمد السحبياني - الطبعة الأولى - ١٤٢٤هـ -
٩٣. نهاية الإقدام في علم الكلام - الشهرستاني - تصحيح فريدجيوم - مكتبة الثقافة الدينية.
٩٤. الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي - دار إحياء التراث العربي.
٩٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان - دار الثقافة - بيروت - لبنان.
٩٦. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف - محمد بن سعيد القحطاني - دار طيبة - الرياض - ط ١